19me. année No 960 — Le Caire 26-11-1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٧١ — ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥١ » — السنة التاسعة عشرة »

موقفنا من الاستعمار الثقافى

للأستاذ أنور المعداوى

ما هو موقفنا اليوم من الاستعمار الثقافى ؟ سؤال يتردد فى الأذهان ومن حقه أن يتردد ، ويستقر على كل لسان ومن حقه أن يستقر ، ويوجه إلى معالى وزير المعارف ورجاء السائلين فيه أن يجيب !

إننا اليوم نخوض المعركة ؛ معركة الحرية والاستقلال ، أو معركة الشرف والكرامة . نخوضها ضد الغاصب المستعمر بكل سلاح من أسلحة الكفاح وكل وسيلة من وسائل النضال ، وهدفنا المقدس هو أن نتخلص من كل قيد فرضه علينا الاستعمار وأرغمنا على قبوله ، منذ أن وطئت أقدامه المجرمة أرض هذا الوطن .. هناك الاستعمار العسكرى وقد وقفنا فى وجهه حين ألغينا المعاهدة ، وهناك الاستعمار الاقتصادى وقد حاربناه حين قررنا مقاطعة البضائع الإنجليزية ، وبقى الاستعمار الثقافى جاثما على الصدور والعقول حيث قدر له أن « يحتل » مكانه « المقدس » فى المدارس والجامعات !

هل نحن محتاجون إلى اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية ؟ أشهد أن تلك اللغة ليست أشرف اللغات ، وأن هذه الثقافة ليست أعمق الثقافات ، ولكن منطق القوة وحده هو الذى أضفى عليهما من زيف الطلاء ما بهر العيون وطمأن الظنون ، وأحلهما المحل الأول من قاعات الدرس وأفكار الطلاب فى كل مرحلة من مراحل التعليم !!

إنها حقيقة لا تقبل الجدل حين نقول إن تلك اللغة قد فرضت علينا منذ أعوام تقرب من السبعين ، وأن منطق القوة هو الذى فرضها علينا كما فرض علينا كل قيد من قيود الظلم والضيم والخضوع .. كان هذا بالأمس . أما اليوم وقد قررنا أن نحطم القيود والأصفاد ، وأن نكفر بالعهود والوعود ، وأن ننتقل من مرحلة العبيد إلى مرحلة الأحرار ؛ أما اليوم وقد قررنا هذا كله فيجب أن نقرن القول بالعمل ، وأن نهجر الخيال إلى الواقع ، وأن نؤمن بأن الإقدام خير من الإحجام . وإننا لنستطيع . . نستطيع أن نفهم المستعمر أننا قادرون على طرد استعماره العسكرى لأننا فى غنى عن حمايته ؛ وسحق استعماره الاقتصادى لأننا فى غنى عن بضاعته ، ونبذ استعماره الثقافى لأننا فى غنى عن ثقافته » . .

ماذا ينتظر معالى وزير المعارف بعد أن وقف معالى وزير الخارجية ليتحدث إلى العالم من فوق منبر الأمم المتحدة ، ليتحدث عن دم المصريين الذى أراقته الحراب البريطانية ، وعن حقوق المصريين التى هضمتها الهمجية البريطانية ، وعن كرامة المصريين التى أهدرتها النذالة البريطانية ؟ حسبنا منه هذه الكلمات أو هذه الصرخات وهو يقول : « عندما عقدت جمعيتنا العامة دورتها الخامسة فى شهر سبتمبر من العام الماضى ، كانت أحلك الغيوم التى تلق ظلالها الكثيف على هذا العالم المضطرب هى حرب كوريا ، أما فى هذا العام فهنالك حربان ، حرب فى كوريا ، وحرب فى البلد الذى أتشرف الآن بأن أخاطبكم باسمه .. إنها حرب حقيقية تشنها على مصر دولة لا تزال تدعى بأنها حليف لمصر ! لقد تدفقت الإمدادات البريطانية من برية وبحرية وجوية على منطقة قناة السويس لمضاعفة قوات الاحتلال . ولقد استولت هذه القوات على المنطقة بأكلها ووضعتها تحت الحكم العسكرى وعزلتها عن سائر أجزاء المملكة ووضعت يدها على المرافق العامة ، واعتدت على السلطة القضائية فمنع القضاة من مباشرة مهمتهم المقدسة فى هذا الجزء من أرض الوطن ، ومنهم من قبض عليه وحرم الطعام يومين كاملين .. ولم يقتصد جنود الاحتلال فى إطلاق النار على رجال الجيش والبوليس فضلا عن المدنيين الآمنين ، ولم يتورعوا عن قتل النساء والأطفال !

« لقد أبدى مندوب الولايات المتحدة ووزير خارجيتها فى خطابه البليغ عنايته بحقوق الإنسان ، وخبرنا عن بعض الحوادث التى وقعت فى المجر وتشيكوسلوفاكيا فوصفها بأنها سحق وحشى للحرية ، وإنى لأسائل نفسى أى وصف يمكن أن يطلقه على الفظائع التى يرتكبها فى منطقة القنال أصدقاؤه وحلفاؤه البريطانيون ؟ أما أنا فلا أتردد فى أن أدعوها عدوانا همجيا مخجلا من المملكة المتحدة ، وخرقا صارخا للسلام العالمى والأمن الدولى ، وامتهانا بالغا لمبادئ الميثاق وأهدافه السامية !! »

ماذا نقول لمعالى وزير المعارف بعد الذى قاله معالى وزير الخارجية ؟ نقول إن اللغة التى تهين كرامتنا يجب أن تلغى ، وإن الثقافة التى تشين قوميتنا يجب أن تلفظ في كل كتاب توجد ، وفى كل مدرسة تلقن ، وعلى كل لسان تنطق ، وهذا هو أيسر الجزاء وأهون العزاء .. إن تلك اللغة كما قلنا ليست أشرف اللغات وإن هذه الثقافة ليست أعمق الثقافات ، فلم لا نستبدل بهما لغة الألمان وثقافة الألمان ، أو لغة الروس وثقافة الروس ، أو لغة الفرنسيين وثقافة الفرنسيين ؟ لم لا نفعل والمعنى البعيد كامن وراء هذه الكلمات ؟ المعنى البعيد الذى يتمثل فى كرامتنا حين نكون « أحرارا » فى اختيار لغة أخرى غير لغة الخصوم ، وتفضيل ثقافة أخرى على ثقافة الأعداء !

هذا هو المعنى البعيد الذى نهدف إليه .. لقد عزمنا على أن نكون أحرارا ، أحرارا فى كل شئ ، أحرارا حين نأخذ وحين ندع ، حين نقبل وحين نعرض ، حين نسالم وحين نخاصم ، حين نرفض وحين نختار . وما دمنا قد انتهينا إلى هذا الطريق وارتضينا أن نسير فيه ، فلا معنى للتريث ولا مغزى للتردد ولا مبرر لإطالة التفكير ، لأنها ستكون حرية مشوهة تلك التى تقضى على لونين من ألوان الاستعمار ثم تبقى على لونه الأخير ، ونعنى به ذلك الاستعمار الثقافى الجاثم على الصدور والعقول !

إننا حين نجهر بهذه الكلمات لا نشك لحظة فى وطنية معالى وزير المعارف ، وإنما نهيب بوطنيته أن تمجل بالضربة القاصمة وأن تبادر بالخطوة الحاسمة ، حتى يتحقق ذلك المعنى البعيد الذى رمينا إليه ، والذى لا يغيب عن فطنة الخصوم .. وحول محور هذا المعنى نريد أن نقول : إن تلك اللغة التى فرضت بالأمس بقوة السلاح يجب أن ترفض اليوم بقوة الإرادة ؟ وإذا خطر لنا أن نعيدها مرة أخرى فى الغد البعيد فلا بأس علينا من ذلك ولا بأس على الكرامة المصرية ، ولكن بعد أن يتطهر الوادى شماله وجنوبه من دنس المستعمر أو رجس الشيطان .. عندئذ « نتفضل » أحرارا بمنح هذه اللغة وتلك الثقافة جواز المرور ، ويومئذ تزول عن كلتيهما نزعة الغرور شأن كل قائد مدحور ؟ كل قائد يأخذ مكانه الجديد فى مؤخرة الصفوف !!

أنور المعداوى

موقف الفكر العربي
من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

دعاني الرجال الأكرمون إلى أن ألقي كلمة موضوعها « موقف الفكر العربي من الحضارة الغربية »

ولقد نظرت في هذا الموضوع فوجدت أنه لا بد لي من أن أقف وقفة قصيرة عند الفكر العربي أتبين ما معناه ، وأن أقف وقفة قصيرة ، عند المدنية الغربية أتعرف ما مبناها

الفكر العربي :

أما عن الفكر العربي فإني أنظر إلى العرب والمستعربين جملة فأجدهم يسكنون رقعة من الأرض خطيرة ، وهي على خطرها رقعة واسعة تمتد من الأطلسي إلى إيران ، ومن تركيا إلى ما يقارب خط الاستواء . وأنظر إلى العرب أمما فأجدهم أمما متباينة الخطوط من التقدم ، مختلفة الأنصبة من الحضارة أياً كانت هذه ، مختلفة قرونها التي تعيش فيها ، فبعضها يعيش في القرن العشرين ويكاد يعيش فيما بعده ، وبعضها يعيش في القرن العاشر ، بل في القرن الأول ، بل فيما قبل القرون . وأنظر في هذه الأمم فرادى ، فأجد في الكثير منها رأساً أطل على هذا العصر الحاضر يرى ما فيه ، ويملأ ظواهره ويملأ خوافيه ؛ أما سائر الجسم فلا عين له ، فهو يتبع الرأس كما تتبع الأجسام ، وقد سهل الأمر على الأجسام أن تتبع لو أن الرأس رأس واحد يتجه إلى غاية واحدة ، ولكنه رأس ذو شعب ، رأس تشعب إلى رؤوس ، منها ما ينظر إلى الوراء فلا يرى في الدنيا شيئاً خيراً من ورائها ، ومنها ما ينظر إلى الأمام فلا يرى في الدنيا شيئاً خيراً من أمامها ، ومنها ما ينظر إلى الوراء ثم إلى الوراء ويفضل أن يقعد فوق السور يستمتع بموكب الزمان الجاري

فأي رأس من هذه الرؤوس يتمثل فيه الفكر العربي الذي يراد لي أن أتحدث فيه . !

لم يراد لي أن أتحدث عن الفكر العربي متمثلا في كتابه ؟ فهؤلاء على قلتهم ، كالرؤوس في أممهم ، صنوف وأهواء . منهم المتأثر بالماضي غاية التأثر ، ومنهم المتحرر من الماضي غاية التحرر ، ومنهم أوساط بين هؤلاء وهؤلاء . وليس في التأثر بالماضي ما يعيب ، لأن الماضي بعضنا ، ولأنه بعض الحذر ، ولأنه الحفاظ الذي فيه بعض الوفاء . والفكر في كل العصور أمزجة ، منها المزاج المتحفظ . والفكر على إطلاقه لا يكاد يتحرر أبداً . إنه عمل العقل ولكن تتنازعه القلوب . إن الفكر لا يكاد يخلو من عاطفة ، والعاطفة وليدة السنين الغوابر . كذلك ليس في التحرر غاية التحرر ما يعيب المتحررين . إنهم ضيقون بزمانهم ، آسون لحال أممهم ، ثائرون على ما يرون من بؤس وجهالة ، فهم يريدون أن يقفزوا في الزمان قفزاً ليعوضوا على أممهم ما فات

ففي أي هؤلاء الكتاب — وهم مختلفون — يتمثل الفكر العربي !

وليس في الشرق فكر منظم . . ليس في الشرق جماعات من الناس لها أفكار ولها أهداف إلا في السياسة . وحتى جماعات السياسة لا تجمعها أهداف بينة ، إن هي إلا غايات مبهمة كثيراً ما يوحي إلي شيطاني بأن أوضح غاية فيها إبهامها . إن الشيء المبهم يجري وراءه الأشتات من الناس ، وفي الإيضاح التفرقة . إنهم يطلبون بالإبهام الكثرة ، وتلك عندهم غاية الغايات

ولقد يتحدث الناس عن الفكر العربي الذي لم يتوحد بعد ، فيقولون ويطنبون . ويأتون لك آخر الأمر بالشيء الجميل أو غير الجميل ، فإذا بهذا الشيء من خلقهم ، وإذا به ، لا الفكر العربي ، ولكن ما يجب أن يكون عليه الفكر العربي عندهم ، وما يجب أن تكون في حسبانهم خطة الحياة

إن الفكر فكرهم ، وهو عربي شرقي بمقدار ما هم عرب شرقيون . وفي غيبة الفكر العربي الموحد ، وعلى تفرقه وتشتته لا بد من قبول هذا الفكر ، ولو فكراً واحداً ، وهو على الأقل

فكر آحاد ؛ وهو على الأقل يمثل منحى من المناحى الفكرية الكبيرة

فأنا إذا تحدثت إليكم اليوم عن الفكر العربى ، فلا أدعى للذى أقول من التمثيل أكثر من أنه يشاركنى فى الذى أقول طائفة فى الشرق العربى غير قليلة

وبعد فما يجوز أن ننفى أن الفكر انفعال ؛ وأن فكر الفرد من صنع البيئة ، وصنع النشأة ، وصنع الزمان

الحضارة الغربية :

ثم ما الحضارة الغربية التى أبحث عن موقف الفكر العربى منها؟

لقد كان للانسان حضارات بكل أرض وبكل زمان : حضارة مصرية ، وحضارة آشورية وبابلية وفينيقية ، حضارة إغريقية ورومانية ، حضارة هندية وصينية ، وحضارة عربية أثبتت وجودها وفرضت فروضها وشاركت فى الحياة على هذه الأرض ألف عام . ولكل من هذه الحضارات فضل ، ولكل منها شئ وأشياء تميزها . . وهى كلها مجهودات للانسان حميدة فى سبيل غاية لايدريها . والإنسان يفنى وهذه المجهودات غير فانية ، أو الكثير منها غير الفانى . وهى مجهودات خالدة بحسبانها أشكالا وأنماطاً وأساليب للعيش وقوالب للفكر تتوارث . كما أن الإنسان خالد بحسبانه نطفا تتوارث ، ومظاهر الحضارات ومن أظهرها بنيان جميعا كما قال المتنبى فى شعره المعروف

أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

إلا الفكر .. الا الفكر الذى أنتجها ، أو الفكر الذى أنتجته ، فهذان يخلدان ؛ لأن الفكرة لا تموت . ولقد بقى من الحضارات الماضيات أفكار ترقد فى أوراق ، لا نزال نجتليها ونسرح البصر البصيرة فيها

والمدنية الحاضرة إنما هى جماع تلك المدنيات جميعا . والمدنية الحاضرة تجد فى تلك المدنيات الغابرات فكرة ترضاها فتنتفع منها ، أو تجد فكرة لا ترضاها فتتجنب أذاها؛ فهى فكرة تهدى على كل حال حتى برفضها ، كالطريق الذى لا تسلك يدلك على الطريق الذى تسلك

والمدنية الحاضرة تميزت بصفات وتألفت من عناصر سوف أجتهد فى إخراج بعضها وإبرازه ، صفة صفة ،أو عنصر عنصرا ، وأدلى بموقف الفكر العربى ، كما أراه ، منها

الحضارة والعلم :

إن المدنية الحاضرة ميزتها الكبرى العلم . العلم الطبيعى . العلم التجريبى

والعلم ليس كالناس يولد فى ساعة . إنه يولد على القرون فلا نكاد نعرف له ميلادا . وأنا إن ذكرت الميلاد ، حلالى دائما أن أتخذ من حياة (لافوازيه) للعلم ميلادا. وهو ولد عام١٧٤٣ ومات عام ١٧٩٤ ، فحياته استغرقت النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ولافوازيه أبو الكيمياء الحديثة لأنه كشف الهواء وكشف عناصره . وما كانت مدنية مؤسسة على العلم الطبيعى لتكون والناس فى جهالة من الهواء الذى منه يحيون ، وفيه تحدث الأحداث للأشياء الأخرى والناس . إنه لولا أن تركيب الهواء اتضح ، ما أمكن أن يكون علم ولا مدنية علمية . وإذن فإذا قلنا إن العلم ، والمدنية العلمية ، لم تقف على أرجلها إلا من نحو قرنين لم نعد الصواب . والعلم قبل ذلك لعله كان يحبو ، ولعله طال حبوه وطال كثيرا

وصفة العلم هذه هى الغالبة أكثر الغلبة على المدنية الحاضرة ، لأن الكثرة الكبرى من نتائج العلم مادية ، وهى تتصل أكثر اتصال بما يرى الناس ، ويسمع الناس ، ويحس الناس ، وبما يأكلون ويلبسون ويسكنون ، وبوسائل بها ينتقلون على الأرض أو على الماء أو فى السماء . وهى تتصل بضرورات الحياة ورفهها .

ولو أن رجلا من مدنية غابرة نشر ونفض عن نفسه التراب ، وأخذ يمشى بيننا كما فعل عيسى بن هشام ، لخفى عليه أول الأمر من مدنيتنا كل شئ ، إلا هذه الظواهر المادية الكثيرة ، فهى ستبدهه ، وهى ستدهشه ، وهى ستشدهه . وهو سيؤخذ بها من أول يوم ، أما مظاهر المدنية الأخفى فستتكشف له على الأشهر ، ومنها مالا يتكشف إلا على السنين ، لأنها لا تتكشف إلا بالدراسة الطويلة والممارسة

وهنا نتساءل ؟ ما موقف الفكر العربى من هذا الأصل الأول من أصول المدنية الحديثة

والجواب أنه المناصرة بغير شرط ، وبغير حد ، وفى غير احتياط . ذلك أن العلم وليد المنطق ، والمنطق لا يرفضه ويرفض نتائجه ذو عقل . وأحسب أنا جميعا ، أهل الشرق العربى ، من العقلاء

وسبب آخر لمناصرة العلم ، أنه سبب للرفاهية ورغد العيش ولينه ، عظيم . وهو لتسهيل الحياة وتيسيرها ، وليس بعاقل كبير العقل من يريد الحياة خشنة ، أو من يريدها عسيرة ، فى غير ضرورة

وسبب ثالث ، أن العلم يجعل الحياة أكثر امتلاء ، وهى بامتلائها أكثر زمانا ، فهى أطول . والذى يعيش اليوم ، فى بيئة هذه الحضارة العلمية أربعين عاما ، فقد عاشها أربعين كثمانين من العصور الأخرى . إن سنوات العمر ، كورق النقد ، تعلو وترخص ، ويصيبها التضخم على انحطاط قيمة ، ويصيبها التقلص

وسبب رابع لمناصرة العلم ، أن الناس ، بسبب العلم ، ولأسباب غير العلم ، زادوا أعدادا ، وزادوا فوق ما تسعهم الأرض ، وفوق ما تكفيهم غذاء ، وفوق ما تكفيهم كساء . وهذا الضيق يقوم بتفريجه العلم ، فهو يفرض على الأرض أن تنتج الكفاية من الطعام ، والكفاية من اللباس ، والكفاية من ضرورات العيش

إن قوما يشكون الفقر قوم لا يأخذون بأسباب العلم . وكذلك قوم يشكون المرض . إن العلم أسرع ذهاب بالفقر ، وأسرع ذهاب بالآلام . إنه ليجتث الآلام من أصولها ، باجتثاث أسبابها ، وعنده أن الوقاية خير من العلاج

وسبب خامس لمناصرة العلم ، ذلك أنه لأسباب خارجة عن العلم ، لا يزال الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويأكلونهم بالعلم ، ولا أحسب أن أحدا فى الشرق العربى يحب أن يؤكل ، والعلم يمنعك من أن تأكلك الذئاب

لقد كدت أحس بشئ من السفه فى تعديد ما للعلم من منافع ، ومن أسباب مناصرته. ذلك أن بعض السفه تعداد البدائه

والفكر العربى مناصر للعلم فى كل ما ذكرت من هذه الحقول المادية . وهو مناصر له أيضا فى سائر الحقول ، فعلى العلم وعلى نتائجه يجب أن تتأسس . معانى الحياة ، وعقائد الحياة وما بعد الحياة . إن العلم وحدة لا تتجزأ

وقد نضيق بالعلم وبنتائج العلم ، فنطلب الترويح فى غيبته ، ونطالب للرفه بنفيه وإبعاده . وقديما نفى الناس العقول بالشراب ليتروحوا ، ولكن إلى حين ، يعودون بعده إلى ممارسة الحياة على العقل الواعى وعلى القلب الصاحى

ونحن نناصر العلم ونعلم أن من الناس من خلطوا بين أشياء أثبتها العلم فهى حقائق ، وأشياء خالها العلم فهى ظنون ، وأشياء لم يمسها العلم لا بالظن ولا باليقين ، فهى من خلق أصحابها

ونحن نناصر العلم ونعلم قصوره وقصور أداته . إن أداة العلم لا تزال الوزن والقياس ، ولكن قوما يريدون أن يقحموه غصبا فيما لا يوزن ولا يقاس ؛ لا طلبا لشئ قد يكون وقد لا يكون ، ولكن إثباتا لشئ هو فى أذهانهم كائن قائم وقد يكون قائما ، وقد يكون كائنا ، ولكن ليس هو مما يستطيع العلم أن يسير إليه بأداته الحاضرة

فهذا هو العلم ، أظهر صفة من صفات المدنية الحاضرة

للكلام صلة

أحمد زكي

---

٥ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفه

من ١ — ٨ نوفمبر ١٩٥١ :

شهدت هذه الفترة عدة حوادث هامة : ففيها واصل الإنجليز عدوانهم على العزل من المصريين وزادوا فاعتدوا بالقبض والاعتقال على ضباط البوليس المصري بمنطقة القنال ، وكذلك اعتدوا على رجال التعليم العائدين إلى أعمالهم بمنطقة القناة ، فاعتقلوا بعض الأساتذة دون مبرر ثم أفرجوا عنهم وألقوهم في الصحراء ليلا!! وكذلك تكون المدنية ويكون احترام الإنجليز للحرية !!

وفيها أيضا اعتدى الإنجليز على رجال القضاء المصري الكرام وهم في طريقهم إلى عملهم بمنطقة القنال والعريش !! ثم عمدوا إلى تسخير العمال بالقوة . وبدأت كتائب التحرير المصري نشاطها وعمدت « الفرق الخفيفة » إلى تجريد الجنود البريطانيين من سلاحهم وهو عمل يدل على شجاعة المصري التي لا تحتاج إلى دليل ، ودب الذعر في صفوف الإنجليز إذ بلغت حوادث خطف الأسلحة نحو ٢٠ حادثة واتهموا رجال البوليس المصري بالتقصير في منع هذه الحوادث ، وهدد القائد العام للقوات البريطانية الجنرال أرسكين بإعلان الأحكام العرفية في منطقة القنال وتعيين حاكم عسكري لها . وهكذا وقف الرجل المسلح ، يخشى عدوان الرجل الأعزل إن الحق هو الذي أعطى الأعزل قوته ، وهو الذي نزع من الرجل المسلح سطوته وهيبته . إن الحق منتصر ، وإن مصر لا تطلب إلا حريتها ووحدة الوادي ، وهي بالغة إن شاء الله ما تصبو إليه

وتشرشل أيضا :

في ٢٥ اكتوبر ١٩٥١ أجريت الانتخابات البريطانية وفاز حزب المحافظين وتولى رئاسته ونستون تشرشل الحكم . ولم تكن مصر تهتم اهتماما كبيرا بنتائج الانتخابات لأنها تعرف أن الإنجليز هم الإنجليز، سواء أكان تشرشل برأس حكومتهم أم كان أتلى ؛ فالسياسة البريطانية لا تتغير بتغير الوزراء، وإنجلترا هي العدو الأول لمصر لأنها تحتل أراضيها بالقوة، وتمنع وحدة الوادي وتقف سدا حائلا بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، ألا ساء ما تفعل !

وفي ٦ نوفمبر بدأ مجلس العموم الجديد جلساته وألقى خطاب العرش الذي جاء فيه: «إن حكومتي تعد ما عمدت إليه الحكومة المصرية من إلغاء معاهدة التحالف المبرمة في عام ١٩٣٦ واتفاقيتي الحكم الثنائي في السودان المعقودتين ١٨٩٩ أمرا غير مشروع ولا يجيزه القانون » ولسنا ندري أي قانون أباح لإنجلترا أن تحتل مصر؛ وأن تفصم الوحدة الطبيعية بين مصر والسودان، وأن تحكم السودان على رغم إرادة أهله

والمح إلى أن بريطانيا ستقاتل إذا دعا الأمر إلى ذلك للبقاء في منطقة القنال، وأشار إلى أنها « ستحتفظ بموقفها في منطقة قنال السويس طبقا لنصوص معاهدة ١٩٣٦ وتؤمن سلامة هذا الطريق الدولي دون أن تستخدم لذلك قوة أكثر من اللازم . » وبهذا يهدد تشرشل باستخدام القوة ضد مصر لأنها تطالب بحريتها وإنهاء احتلال أراضيها ، ولسنا ندري هل غاب عن تشرشل الماكر العجوز أن مصر قد فكرت قبل إلغاء المعاهدة وقدرت أنها مقبلة على فترة من فترات الجهاد الشاق والنضال العنيف!! وأنها ستتعرض لتهديد إنجلترا وربما لتهديد أمريكا وفرنسا أيضا!! وهل يعتقد تشرشل أن الإنجليز سيخرجون من مصر دون نضال ودون تضحية ! ! ليعلم تشرشل أن مصر قد فكرت وقدرت وأنها قد آثرت الجهاد والنضال في سبيل الحرية على الحياة والعبودية.. فليهدد كما يشاء فمصر قد وقفت صفا واحدا تدافع عن حريتها ووحدتها.. ولن يرهبها تهديده أو يخيفها وعيده

هيئة الأمم ومؤتمر السلام :

وفي ٦ نوفمبر اجتمع أعضاء مجلس السلام في جميع أنحاء العالم في فينا عاصمة النمسا ، وألقى كامل البنداري باشا خطابا مستفيضا عن مصر وعن موقفها من الدول الاستعمارية استهله بقوله « إن مصر قد بدأت مرحلة جديدة في تاريخها.. ذلك أنها فرغت من عهد التوقيع والإمضاء وبدأت القتال والكفاح . إن

الشعب الآن يريق دمه في سبيل الحرية غير متردد ولا هياب، كل ذلك من أجل الحرية ومن أجل السلام العالمي.»

وقال: «إن هذه الحوادث الدامية التي تجري في مصر ستكون نقطة تحول في التاريخ» واختتم الخطاب قائلا: «سيكون لهذا الصراع ضد الإنجليز والانتصار عليهم نتائج بعيدة المدى»

وقد خطبت السيدة سيزا نبراوي في المؤتمر. ونددت بالأعمال الوحشية التي تقوم بها بريطانيا في مصر.. وتحدثت عن أعمال البطولة التي يقوم بها عمال الوابور الذين أضربوا عن التعاون مع الإنجليز وأعلنت أن وجود القوات البريطانية ضد إرادة الشعب المصري يهدد السلام العالمي

وتحدث مندوب الاتحاد السوفييتي فطالب بضرورة تأييد مصر واتخاذ قرارات إيجابية لشد أزر الشعب المصري في كفاحه ضد الاستعمار، وأن الاتحاد السوفييتي يؤيد مصر تمام التأييد في كفاحها ضد الغاصب وصراعها من أجل الحرية

وفي ٧ نوفمبر أصدر المؤتمر قرارا يدعو فيه بريطانيا إلى سحب قواتها من مصر والسودان فورا لكي يتسنى تقرير مصيرهما بحرية تامة، وقرر إيفاد وفد لهيئة الأمم المتحدة لمطالبتها بتوحيد الاهتمام إلى ما يتعرض له السلم من تهديد بسبب وجود قوات أجنبية في مصر والسودان

وفي باريس اجتمعت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ٦ نوفمبر وحضر الاجتماع وفد مصر برياسة الوطني العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا، وكذلك حضر الوفد البريطاني برياسة المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا، وبدأ صلاح الدين نشاطه فأرسل إلى السكرتير العام للأمم المتحدة مذكرة ندد فيها بالأعمال الوحشية التي تقوم بها القوات البريطانية في مصر، وأعلن ثقته من أن الضمير العالمي وشعوب الأمم المتحدة ستقف إلى جانب مصر وشعبها في كفاحها في سبيل الحق والحرية، وفي سبيل السلام العالمي. وهكذا بدأ النضال بين مصر وبريطانيا في أروقة هيئة الأمم

لا مناقشة:

لجأت بريطانيا إلى التهديد باستخدام العنف والقوة إذا لم يكف زعماء مصر عن نشاطهم، وفي ٦ مارس سنة ١٩١٩ استدعى قائد القوات البريطانية زعماء الوفد وأعضاءه وأنذرهم «أن أي عمل منكم يرمي إلى عرقلة سير الإدارة يجعلكم عرضة إلى المعاملة الشديدة بمقتضى الأحكام العرفية»

لقد دار بخلد الإنجليز ١٩١٩ كما يدور بخلدهم الآن أن التهديد باستخدام القوة كفيل بالقضاء على الروح الوطنية في وادي النيل، وكفيل بإيقاع الرعب في قلوب المصريين مما يقضي على حركتهم وآمالهم؛ ولكن خاب أملهم، ففي ١٩١٩: واجهوا شعبا يقف صفا واحدا خلف زعمائه، فلما هددوا سعدا وزملاءه لم يجبن سعد ولم يجبن زملاؤه وقابلوا الإنذار بعدم الاكتراث، ولم يعبأوا به بل زادوا تمسكا بمطالب الأمة، لقد كان القائد العام البريطاني مسنودا بالحراب والمدافع البريطانية، وأما سعد ورفاقه فقد كانت تحرسه قلوب شعب مصر الأعزل، ولكنه شعب مؤمن بحقه وعدالة قضيته

لم يعبأ سعد بالإنذار البريطاني ومضى في طريقه قدما، ففي نفس اليوم أبرق إلى رئيس الحكومة البريطانية يقول: «تعلمون ضرورة أن وزارة رشدي باشا لما علقت سحب استقالتها على سفر الوفد قبلت استقالتها نهائيا. وليس لذلك معنى إلا الحيلولة بيننا وبين عرض قضيتنا على مؤتمر السلام. وقد نتج فعلا من هذه السياسة أن أعظم رجال مصر... قد بدأوا يرفضون بتاتا تأليف وزارة تعارض مشيئة الأمة التي هي مجمعة على طلب الاستقلال...

إن السلطة العسكرية أنذرتنا اليوم بأننا نضع الحماية موضع البحث ونعرقل تأليف الوزارة الجديدة وتوعدتنا بأشد العقاب العسكري، على أنها لا تجهل أننا نطلب الاستقلال التام ونرى الحماية غير مشروعة كما تعلم بالضرورة أننا قد أخذنا على عاتقنا واجبا وطنيا لا نتأخر عن أدائه بالطرق المشروعة مهما كلفنا ذلك. وحسبنا أن نذكر لكم هذا التصرف الجائر الذي يجر سخط

العالم المتمدن حتى تفكروا فى حل هذه الأزمة بسفر الوفد فيرتاح بال الشعب

القبض على زعماء الوفد :

اتخذت السلطة من رفع الوفد هذه الشكوى إلى رئيس الحكومة البريطانية مبررا لتنفيذ ما هددت به ، فنى يوم ٨ مارس قبضت على رئيس الوفد سعد زغلول وعلى ثلاثة من كبار صحبه وهم محمد محمود وحمد الباسل وإسماعيل صدق واعتقلتهم فى ثكنة قصر النيل ثم نقلوا تحت الحراسة إلى بورسعيد ومنها أبحروا إلى مالطة حيث وضعوا قيد الاعتقال

اعتقد رجال السلطة العسكرية أنهم بهذا العمل قد قضوا على الحركة الوطنية فى مصر وأنهم قد استراحوا وأمنوا واطمأنوا ، ولكن خاب ظنهم فإن هذا النبأ قد سرى فى مصر كما تسرى النار فى الهشيم وكان بمثابة شرارة ألقيت على مستودع من البارود مما أدى إلى حدوث انفجار عظيم

بدء الثورة :

نهض المصريون جميعا على بكرة أبيهم دفعة واحدة وفى يوم واحد لإعلان سخطهم وغضبهم على هذا العدوان الغاشم ، وكانت للمصريين فى احتقار الموت الذى كان يتحداهم فى ثورتهم من أفواه مدافع العدو وبنادقه روعة وجلال

وأما رجال الوفد فقد بادروا فى نفس اليوم إلى إرسال برقية احتجاج على اعتقال الزعماء إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ، وأعلنوا أنهم سيستمرون على الدفاع بكل الطرق المشروعة عن قضية البلاد العادلة

وكذلك أرسلوا برقيات احتجاج إلى معتمدى الدول الأجنبية

وفى ٩ مارس وجه على شعراوى باشا بصفته وكيل الوفد كتابا إلى عظمة السلطان يشكو فيه من تصرف السلطة العسكرية مع رجال الوفد جاء فيه :

« .. استدعتنا السلطة العسكرية فى ٦ مارس ... وأنذرتنا بالعقاب العسكرى الشديد إن أتينا عملا يرمى إلى تعطيل سير الوزارة ثم منعتنا من مناقشتها فى هذا البلاغ . لم تصب السلطة فى رأيها فإن هذه الحماية باطلة ولكل إنسان الحق المطلق فى أن يضعها تحت البحث والمناقشة القانونية . .

لم يقف الأمر عند هذا الإنذار بل قبضت السلطة أمس على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وإسماعيل صدق باشا وزجوهم فى قصر النيل ثم سيق بهم إلى بورسعيد فإلى حيث لا نعلم . وذنبنا فى ذلك أننا نطلب حريتنا السياسية طبقا المبادئ الشريفة التى اتخذت قاعدة للسياسة المالية الجديدة ... وبينا أننا لم نتعد حدود القانون ، فلم نهيج فى البلاد طائرا ولم نحرك ساكنا بل قبلنا توكيل الشعب إيانا أن نصدع بأمره ونسعى لتحقيق مشيئته ...

على هذه الاعتبارات يصعب علينا يا مولاى أن نفهم مبررا لهذه الخطة القاسية التى جرت عليها السياسة الإنكليزية ..

إليكم يا صاحب العظمة وأنتم تتبوءون أكبر مقام فى مصر وعليكم أكبر مسئولية فيها. نرفع باسم الأمة أمر هذا التصرف القاسى ؛ فإن شعبكم الآن يحق له أن يعتبر هذه الطريقة بادرة تخيفه على مستقبله كما يحق له أن يكرر الضراعة لديكم العلية أن تقفوا فى صفه مدافعين عن قضيته العادلة »

قويسنا أبو الفتوح عطيفة

أدب الثورة والكفاح

للأستاذ كامل السوافيرى

فى اليوم الثامن من أكتوبر من العام الحالى أعلنت مصر إلغاء معاهدة الظلم والاستعباد؛ وقالت كلمتها الخالدة مدوية فى آفاق المعمورة فرددت الشعوب العربية والدول الإسلامية صرخة مصر، وقامت المظاهرات فى دمشق وبغداد وبيروت وطهران والدار البيضاء معلنة تضامنها مع مصر المجاهدة، صارخة صرخة الحق فى وجه المستعمر الغاصب بأن يجلو عن وادى النيل، ويعترف بحق مصر فى الحرية والاستقلال

ثم صدمت مصر الاستعمار مرة ثانية حين أعلنت رفضها لما أسموه مقترحات الدول الأربع للدفاع عن الشرق الأوسط؛ فحطمت آمال المستعمرين وقلبت خططهم رأسا على عقب

ووقفت الشقيقات العربيات أيضا من مصر المجاهدة موقف التأييد التام والتضامن الكامل ضد أقطاب الاستعمار، كما وقف العالم الإسلامى ينادى بحق مصر فى سيادتها على القناة، وحقها فى جلاء الجيوش المحتلة عن أراضيها، وحقها فى الوحدة، وكان ذلك الموقف الرائع من العالمين العربى والإسلامى دليلا واضحا على أن العرب والمسلمين قد اكتمل وعيهم، واستوى نضجهم السياسى ولم تعد تنطلى عليهم حيل الدول المستعمرة، بعد أن أخلصوا لها الود، وقدموا المعونة فى حربين عالميتين فقوبلوا بالتنكر لأمانيهم القومية. والاعتداء على حقوقهم السياسية

وليست الحرب بين الإسلام والاستعمار وليدة اليوم. وليس الصراع بين الشرق والغرب ابن عامه هذا، ولكنه صراع بدا بعد الحرب العالمية الأولى منذ انتصر الحلفاء، فقسموا الشرق العربى بينهم، وجزءوه إلى دويلات ضعيفة لا تستطيع النهوض حتى يتمكنوا بذلك من استعمارها أكبر مدة من الزمن. ولكن الصراع ليس صراعا سياسيا فحسب، بل هو صراع دينى واجتماعى قبل أن يكون صراعا سياسيا، إنه صراع المبادئ والأفكار، وصراع النفوس والقلوب. ولا بد أن تتضافر الجهود وتتعاون القوى ليخرج الشرق من هـذا الصراع مرفوع الرأس وضاح الجبين

ولقد راعنى أن يكون الأدب بمنأى من هذا الصراع الحاد الذى يندلع لهيبه يوما بعد يوم. وكم أسفت حين تطلعت فرأيت الفن لا يسهم فى هذه المعركة بين الشرق الإسلامى والغرب، أو بين المسلمين والمستعمرين، وللأدب نفوذه وسلطانه، وللفن عرشه وصولجانه، وللأدباء فى الأمة المكانة السامية، والمنزلة العالية، هم النجوم التى ترشد السارين إذا اكفهر الجو وأظلم الأفق، وهم المصابيح اللامعة التى تهدى الضالين إذا تشعبت السبل، وتعددت المسالك

إنى لا أريد أن أتهم الأدباء بأنهم تنكروا لأمتهم، وتجافوا عن مجتمعهم، حين عاشوا منطوين على أنفسهم، فى أبراجهم العاجية، لا يحسون بإحساس أمتهم، ولا يشاركون مجتمعهم آلامه وآماله، فكان إنتاجهم فى الكثير الغالب مرآة انعكست عليها حياتهم الخاصة، مما دعا الأمة والمجتمع إلى الانصراف عن هذا الأدب الذى لم تجد فيه شخصيتها، ولم يحس فيها المجتمع بوجوده

وكان الأدباء مسئولين عن هذه الجناية، لأنهم هم الذين أتاحوا للقراء الانصراف عن إنتاجهم إلى الأدب الرخيص الماجن الذى يغذى الجانب الهابط فى النفس

وإلا فما بالنا لا نقرأ — والمحن تتوالى على العروبة، والضربات تتابع على أقطار الإسلام — إلا أدب الضعف والانحدار!! أدب التدهور والانحلال!! كأننا لسنا فى صراع مع الاستعمار!!

ألم تكن مأساة فلسطين الدامية، وتشريد مليون من أبنائها من إخواننا وأبناء عمومتنا وهيامهم على وجوههم فى المهامه والقفار، يفتك بهم البرد والجوع.. كافية فى أن تهز منا القلوب، وتشعل الأفئدة، وتضرم الجوانح؟

لقد نظرت إلى الأدب قبل المأساة وبعدها فلم أجد تغيرا واضحا إلا عند قلة من الأدباء يعدون على أصابع اليد الواحدة

إن المعركة القائمة اليوم بين حق مصر وباطل بريطانيا ليست معركة مصر وحدها، وبريطانيا وحدها، ولكنها معركة الشرق العربى بأسره ضد الدول المستعمرة التى تظاهر بريطانيا فى باطلها.

وتناصرها فى عدوانها على الشعوب الضعيفة

إنها المعركة التى تغذى القرائح عند أدباء العرب والإسلام، فتدفعهم دفعا إلى المساهمة فيها

قد يقال إن هذا أدب مناسبات فى كارثة لا يلبث أن يزول . إنه كغمامة صيف عما قليل تنكشف . والإجابة عن ذلك أن هذا ليس أدب مناسبات، ولكنه أدب خالد، فأدب القوة والكفاح أدب خالد .. لأن الأمة الضعيفة لا وجود لها فى عالم تسوده الذئاب والأسود

إن كثيرا من الشعراء الأوربيين قد خلدوا بأسفارهم الوطنية التى أيقظت فى نفوس أممهم روح التضحية، وأوقدت فى قلوبهم النخوة والحمية، فهذا أرنت فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر يقول لقومه بعد موقعة « يه نا »

(أعطونى وطنا حرا وأنا أرضى عندئذ أن أفقد كل شهرتى فيصبح اسمى منسيا لا يذكر فى غير دارى ودار جارى.

أعطونى بقعة من أرض جرمانية يستطيع فيها العندليب أن يغرد دون أن يرى بسهم فرنسى

اعطونى كوخا حقيرا يستطيع أن يصبح ديكى فوق حاجزه دون أن يقع فريسة فى يد فرنسى، وأنا أصبح عندئذ مثل الديك، وأغرد مثل العندليب بكل فرح وسرور، ولو أفقد كل ما ملكته يداى فلم يبق لى شئ يستر جسمى غير قميص بال (١))

نريد أدبا بعد وثبة مصر الجبارة يختلف عنه قبلها، نريد من أدباء وادى النيل وهم كثر والحمد لله ومن أدباء البلاد العربية أن يشنفوا آذاننا بالأغانى والأهازيج الحماسية الوطنية التى تبعث الثقة فى النفوس وتملؤها قوة وبطولة

نريد من الشعراء المشهورين أن يطربونا بشعر القوة والعزة، ومن كتابنا وناثرينا أن يدبجوا لنا المقالات الطويلة عن الإيمان القوى، والوطنية الصادقة، والاستشهاد فى سبيل الوطن ... وبوجه عام نريد من الأدباء والشعراء والمؤلفين وكتاب القصة والمسرحية أن يتخذوا من أقلامهم سيوفا تسل فى وجه الظلم، وحرابا تصوب إلى صدور الأعداء

ونريد منهم أن يثيروا أحقادنا الدفينة لدى الدول الاستعمارية، وأن يذكوا جذوة الوطنية فى نفوس هذا الجيل والأجيال القادمة، ويشعلوها حربا مستمرة الأوار على الاستعمار الظالم فى كل مكان

ولست أريد أن أمنعهم من الأدب الذاتى .. أدب العاطفة والوجدان، ولكنى أرى أنه لابد لهم مع أدبهم فى الدمعة والابتسامة، والهجر والوصل، والفراق واللقاء.. من الأدب الذى يمجد الوطن، ويؤجج الوطنية، وينفخ فى الشباب روح الرجولة والقوة، والعزة والكرامة، والحرية والاستقلال، ولا نريد أن يقف بهم الأمر عند أدب الوهم والخيال..أدب المهمهات والشطحات بل يضيفوا إليه أدب البطولة والمجد والرفعة والعلاء.

هذه صرختى أوجهها إلى الأدباء، وأنا وطيد الأمل فى أنها ستجد منهم آذانا صاغية . وأختم هذه الكلمة بأبيات للشاعر المهجرى ميخائيل نعيمة :

أخى ما الصبر ؟ إن الصبر كفران وخذلان
أخى ما نحن بالأحرار لكن نحن عبدان
لقد ضاقت بنا الأوطان ما للعبد أوطان
أخى ما السجن هل فى السجن آلام وحرمان؟
وهل يجدى مع الأحرار قضبان وسجان؟
سوانا يرهب القضبان أو تثنيه جدران
إذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان

كامل السوافيرى

(١) من كتاب آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية للأستاذ ساطع الحصرى ص ٧٥

٤ . على ضفاف القناة :

وجـــوه كالحة *

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

مساكين أبناء مدن القناة الثلاث — بور سعيد والإسماعيلية والسويس — وبخاصة أبناء مدينة الإسماعيلية.. التي كتب الله على أبنائها أن يتجرعوا الغصص المرة حادة ، ذلك لأنهم يرون دائماً وجوه أعدائهم الألداء ، هذه الوجوه الكالحة ، التي سئم كل مصري النظر إليها ، وضقنا بها وبأبنائها ذرعاً ، وكدنا نيأس حكومة وشعباً من معرفة طريق الخلاص والقضاء على هؤلاء الاستعماريين (الكلاب) — كما يدعوهم آية الله كاشاني — وأدركنا إلى أي حد يجحد هؤلاء الغاصبون حقوقنا ، ويعبثون بمصالحنا وآمالنا ، ويسخرون بأمانينا الوطنية التي يجب أن نبذل في سبيل تحقيقها ، والحصول عليها ، كل مرتخص وغال ، فأينما سرت في هذه المدينة البائسة لا تجد غير هؤلاء الإنجليز ، يروحون ويجيئون في كل وقت من الأوقات ليلا ونهارا ، يتسكعون هنا وهناك في برود وصفاقة ، وكأنهم يسيرون في أوطانهم ، ويجوبون رحابها آمنين مطمئنين ، هادئين وادعين ، كأنه ليس بيننا وبينهم عداء مستحكم الحلقات ، ولا قضية مطروحة في المحافل الدولية إلى الآن ؟ ولست أدري لماذا يأمن الإنجليز جانب المصريين إلى هذا الحد العجيب ، فنراهم يعيشون في أحيائهم الأفرنجية بالمدينة ، ويشاركون المصريين في الأحياء الوطنية ، ويسيرون بين المصريين كأنهم من أبناء جلدتهم ؟ فهل معنى ذلك أنهم يعتقدون أننا هازلون في مطالبنا ، غير جادين في قضيتنا وجهادنا ؟!

إن منظر الجندي الإنجليزي يسير في مدينة الإسماعيلية بالذات يؤلمني إلى حد كبير ، كما يؤلم كل وطني غيور ، لأنه يحمل معنى التحدي الجارح لكرامة المصري ، وشعوره وعزته ، فهو يسير مترفعا متعاليا ، في صلف وكبرياء ، مقيتة لعينة ، شأنه في ذلك شأن العملاق المتغطرس الذي ينظر في ازدراء وضيع إلى أقزام هزيلة الجسوم ، جائعة البطون ، عارية الأبدان ، وهو لهذا لا يأبه بمن أمامه من المصريين ، ولا يبالي بما يأتي من جرائم ، ويقتل من أرواح ، فقلما يخلو يوم من حوادث السيارات الإنجليزية التي تجوب المدينة على الدوام ، وبلا انقطاع ، والتي تقف أمام دور السينما والمحلات العامة وفي الحدائق ، وتزدحم بها الشوارع في كل مكان ، والتي يذهب ضحية إهمال سائقيها المخمورين كثير من المصريين الأبرياء . . وماذا يضيره مادام يخرج دائما هو وأمثاله المجرمون بسلام ، ولا تنال منهم سطوة القانون المصري شيئا ، لأن الإنجليزي لا يزال في هذه البلاد عنوان السيادة الذي يخضع له الجميع . . وقاتل الله الإنجليز ، فإنهم لا يزالون يعيشون في أواخر القرن العشرين بعقلية القرون الوسطى ، ولا يزالون يؤمنون إيمانا عميقا بسياسة الدس والتفرقة بين مختلف الطوائف وقادة الشعوب ، وزعماء البلاد ، ولا يكاد يستجيب لهم ، ويحقق أمانيهم غير المصريين من الذين لا يعيشون لبلادهم ، وإنما يعيشون لتحقيق أغراضهم ، ومصالحهم الذاتية . . ولكن الإنجليز في هذه المرة لن يصلوا إلى ما يصبون إليه ، وسيفوت عليهم الوعي الجديد للشعب المصري أغراضهم السافلة ، ويحطم آمالهم الاستعمارية الوضيعة ، ويكشف حيلهم الدنيئة ، ويعجل عليهم الفشل الذريع ، والحظ المنكود . . !!

* * *

أجل فالوعي القومي بين طبقات الشعب قد ارتفع مستواه ، ونأمل أن يؤتي ثماره اليانعة في القريب العاجل إن شاء الله . وإنه لمن الظلم أن تظل هذه الجنود تتمتع بالأحياء الجميلة النظيفة في المدينة وتستنفد خير الأطعمة ، وتستولي على جميع ما تصل إليه من طيبات الرزق ، بينما يحرم من هذا كله أهل المدينة والقاطنون فيها ، فتتلظى نفوسهم غيظا ، وتتميز كمدا وحقدا على هؤلاء الدخلاء الذين ينتزعون خير أقواتهم ، وأطيب أرزاقهم ، ويغزونهم في مساكنهم ، حيث استأثر الإنجليز بأحياء خاصة ، ثم طغى منذ شهور سيلهم الجارف ، وتدفقوا في منطقة القنال زرافات زرافات ، حتى ضاقت بهم مناطقهم العسكرية في منطقة القناة ، كما ضاقت بهم مدينتهم الكبيرة الجميلة المنسقة ، التي بنتها لهم القيادة العامة على أحدث طراز إنجليزي ، حتى لتتشابه

* كتبت هذه المقالة قبل إلغاء المعاهدة ووقوع الأحداث الأخيرة

البيوت إلى حد كبير، والتي تقع في الجنوب الغربي من الإسماعيلية.. أجل ضاقت بهم هذه الأماكن كلها فنزحوا إلى الأحياء الوطنية، وزحفوا عليها زحف العقارب الشائلة، والوحوش الضارية، وسكنوا في عمارها الجديدة النظيفة، كما نزح إلى هذه الأحياء كثير من الأجانب من اليونانيين والأرمن، وغير هؤلاء بقصد الربح والكسب، تاركين مساكنهم في الحي الأجنبي للانجليز نظير مبالغ كبيرة من المال، إما بصفة (خلو رجل) أو عن طريق الإيجار من الباطن، فيترك الواحد منهم مسكنه النظيف الذي يسكن فيه نظير إيجار شهري قديم لا يزيد عن خمسة جنيهات لشقة متوسطة، مكونة من ثلاث حجرات مثلا، بعد أن يؤجرها للجنود الإنجليز نظير ثلاثين جنيها على الأقل بواقع عشرة جنيهات للغرفة الواحدة، ويؤجر هو في الحي العربي شقة تماثلها بعشرة جنيهات. فيكون ربحه من هذا خمسة عشر جنيها، دون أن يبذل في ذلك أي جهد، أو تسعى له قدم .. !!

على هذا المنوال تسير الحياة في الإسماعيلية فتنكمش على الدوام مساكن المصريين الوطنيين، وتنمو مساكن الإنجليز باستمرار، حتى في هذه الأيام التي ارتفعت فيها العاطفة الوطنية، والتي استمدت فيها النفوس للثورة القومية، والجهاد النبيل، والتي كاد يخمده زعماؤنا بتعلقهم بالوعود البريطانية الخلابة، فلا يزالون يثقون بهؤلاء الخونة الأنذال، وكأنهم لا يزالون يجربون مع طول التجارب المريرة السابقة ..!!

وليس من الغريب أن ترى أسرة إنجليزية صغيرة تعيش في دكان صغير ليس فيه دورة مياه، ولم يعد ليكون مسكنا لشخص أو عدة أشخاص . . إي والله لقد رأيت هذا المنظر الغريب العجيب في حي جميل من أحياء الإسماعيلية .. وليس من الغريب كذلك أن ترى الأسر الكثيرة تسكن بيوتا من الطين لا تختلف في قليل أو كثير عن بقية بيوت الفلاحين المصريين التي حولها . . وليس بعجيب أن تكتظ الفنادق الأفرنجية في المدينة كلها بعائلات الجنود الإنجليز، فتعيش العائلة في حجرة صغيرة أعدت في الأصل ليكون بها شخص واحد أو شخصان، كما أن بعض الفنادق المصرية قد اكتظ بهذا النوع من الوجوه الكالحة، حتى أن من العسير أن يجد المسافر مكانا في فندق يبيت فيه ليلة أو بضع ليال .. !!

أجل ليس من الغريب أن ترى هذه المناظر . ولكن كلمة الحق التي يجب أن نسجلها في هذا المكان، هي أن النظافة تشيع في كل مكان يقطن فيه هؤلاء، كما يسوده النظام والهدوء، حتى في تلك الأماكن المتناثرة في أنحاء الأحياء الوطنية، بحيث يخيل إلى أن المصريين لو انتقلوا جميعا إلى الأحياء الأجنبية النظيفة، وانتقل الأجانب إلى الأحياء الوطنية القذرة، لعمت الفوضى بعد أيام في الأحياء الأولى، ولساد النظام والنظافة والهدوء والسكينة في الأحياء الأخرى . !

ومهما يكن من شيء فإن كل إسماعيلي يشعر من أعماق نفسه بكراهية عجيبة لهؤلاء الغاصبين . ويرى فيهم العدو اللدود لبلاده، سواء في ذلك الذين يستفيدون من الإنجليز بالعمل في معسكراتهم، أو الذين يتعاملون معهم بغير ذلك من أنواع المعاملات . وهي كثيرة في الإسماعيلية، حيث يوردون لهم اللحوم والخضر والفاكهة والألبان وغير ذلك، ويبنون لهم المساكن ويشيدون العمائر الضخمة الكبيرة، التي تضارع في ضخامتها وعظمتها عمائر القاهرة . .

وإن الأمل لكبير في أن تسيطر الوطنية المصرية على هؤلاء الإسماعيليين الذين تربطهم بالإنجليز صلات المادة، وتتغلب عليهم روح التضحية الخالصة، فيلبي كل منهم نداء الواجب المقدس، ويفصم ما بينه وبين هؤلاء من عرى وثيقة، وصلات قوية، مهما بلغت أرباحه المادية

ولكن المخلص تتغلب عليه ناحية التشاؤم حينما يتصل من قريب بهؤلاء الذين يتعاملون مع الإنجليز من غير أبناء الإسماعيلية الخلص، وأعني بهم أولئك الذين نزحوا من الصعيد لا يملكون شيئا، فأصبحوا بعد أعوام قلائل أثرياء أغنياء، لا تعرف كيف وصل إليهم المال، وأي الطرق سلكوا حتى أصبحوا يشار إليهم بالبنان في كل مكان . . أعني بهم هؤلاء الذين تغص بهم العربات الخاصة (البولمان) في قطر السكة الحديدية، وتضيق الشوارع

في مدينة الإسماعيلية بسياراتهم الفارهة التي لا تكاد تسمع لها صوتاً حينما تسير . . هؤلاء الذين يرتدون في الغالب الجلباب البلدي المصنوع من الصوف الجيل ، و (الطاقية) الوبر الناعمة ، الغالية الثمن ، عليها (شال) ناصع البياض ، وتتكون منهما عمامة لا أثر للذوق فيها ، ولا نصيب للوقار منها . . وبلفت نظرك خواتم كبيرة ذهبية في أصابع اليدين ، منها الكبير والصغير ، والفصوص الحمر والزرق ، وتعجب لما بين ذلك كله من تنافر ، مع ارتفاع قيمتها ، وغلو ثمنها ، ولكنه المال الزيف الذي يتدفق على هؤلاء من خزائن الإنجليز فيملأ منهم الجيوب ، ويخرب الضمائر ، ويفرغ العقول . !

إن قطع علاقاتنا بالإنجليز يوم أن يتم إلغاء المعاهدة اختبار للبطولة الوطنية ، وامتحان للقومية المصرية ، ويوم ذاك تبارك مصر كل من يفهم كنه هذا القرار ، ويدرك حقيقة ذاك الإجماع ، وينفض يده من ذلك الوباء الماحق ، والشر المبير ، ويحاول سحق هذه القوة الغاشمة ، والقدرة الضائلة الطاغية ، التي عدها نحن بمقومات حياتها . . وتبارك هذا النوع من أبنائها ، وتلعن كل من أعرض عن نداء الواجب . ولم يصغ لصوت الضمير ، ونداء الوطنية العادل . .

وإن في إمكاننا وحدنا أن نقطع شرايين الإنجليز ونحبسهم في حيز ضيق لا يستطيعون منه فكاكا ، ونكرههم على الفرار من وادي النيل كله ، وذلك حين نقطع ما بيننا وبينهم من صلات وعلاقات ، فلا نطعمهم ولا نسقيهم ولا نتعاون معهم ولا نسكنهم ولا نشتري بضائعهم ، وننظر إليهم نظرة احتقار وازدراء ، ونعامل من يتعاون معهم معاملة الخائن لوطنه ، ونضيق عليهم الحصار حيث يثقفون . !

ولقد علمتنا الحوادث أن الإنجليز لا يجدى معهم الأخذ والرد ، والجدل والنقاش ، والمباحثات والمعاهدات ، فذلك باب أتقنوه ، وبرعوا في سياسة اللف والدوران ، وسياسة كسب الوقت . . وإنما تفلهم القوة القاهرة ، ويخضعهم العزم الصارم ، ويذلهم التصميم الحازم ، ولقد عرفت إيران كيف تصفع الإنجليز صفعة هزت كيانها ، وزلزلت بنيانها ، وحطمت أعصابها ، وأكرهتها على الخضوع لرغبات الإيرانيين الأبطال . . فمتى نفهم هذه الحقائق ونعلم أن تحقيق الأمل ، ونيل الأماني ، هو بالكفاح والنضال ، وندرك أنه لا قيمة لما يتهجيه الزعماء الآن من أقوال مجلجلة ، وتصريحات جريئة ، وخطب رنانة طنانة ، وهتافات مدوية ، وتصفيق حاد . . فمتى أدركنا ذلك أمكننا أن نقضي على هؤلاء الغاصبين ، وأن نتخلص من شرهم ، وأن تختفي من منطقة القناة هذه الوجوه الكالحة ، كما اختفت من قبل من القاهرة والإسكندرية

عبد الحفيظ أبو السعود

الدكتور لوتس

بمناسبة ذكراه :

١٨٦٧ — ١٩٣١

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

كان الدكتور لوتس عالما من علماء التناسليات في المقام الأول ، فقد كان عالما مجربا في عالم التناسليات والنباتات وانتقال الصفات من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر . وقد نظر الدكتور « لوتس » فرأى بثاقب فكره وبعد نظره ، أن مصر ذات الجو الدافئ والسماء الصافية والشمس المشرقة ، تحقق له ما يصبو إليه من بحث في التناسليات وتتيح له فرصا لا تتوفر له في غيرها من بلاد العالم . ولذلك كثيرا ما أبدى رغبة شديدة في إنشاء منصب أستاذ في كلية العلوم ، لعلم التناسليات ، وأنه يجب أن تلحق بمعمل هذا المنصب حدائق للتجارب العملية فقد قال :

« إن إنشاء منصب أستاذ لعلم التناسليات في كلية العلوم لمن أعظم الأعمال في مصر البلد الزراعي ، وذا خطر عظيم في تقدم مصر وتقدم العلم في العالم أجمع »

* * *

ولد جون بول لوتس سنة ١٨٦٧ من أسرة هولندية معروفة ، ولما بلغ مبلغ الصبيان التحق بمدارسها ، وكان في أثناء ذلك يبدي اهتماما زائدا بفصائل النباتات وأنواعها ، ويحاول معرفة كل شيء عنها . فلما أتم دراسته ولى وجهه شطر ألمانيا ليشبع رغبته في دراسة علم النبات ، وهناك في مدينة « ستراسبورج » توجه نحو أعظم أساتذة علماء النبات ، للتتلمذ عليهم وعلى رأسهم العالمان « وانباخ » و « لدوباري » وبعد دراسات طويلة وأبحاث كثيرة ، رحل إلى جاوة ليتوفر هناك على درس النباتات الكثيرة ؛ وخاصة نباتي « الجنيتوم » والطفيلي المعروف « بالأنوفورا » في الدور الجنيني . حتى إذا انتهى من أبحاثه هناك عاد إلى هولندا ، فعين مدرسا لعلم النبات في جامعة ليدن ، ونظرا لجهوده وأبحاثه عين سكرتيرا عاما لأكاديمية العلوم الهولندية

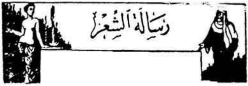
ولكنه في سنة ١٩١١ استقال من منصبه ، وأنشأ في بلدة « قلب » حديقة ومحطة للأبحاث والتجارب في علم تناسل النباتات ، وكان غرضه إتمام أبحاث العالم « مندل » وتحقيقها ، وما زال يواصل الليل بالنهار مجداً مكافحاً في البحث والتنقيب حتى بلغ فيه مقاما علميا عاليا ، وقد أنشأ لذلك مجلة سماها « جنتيكا » أي التناسليات

ولم يكتف بذلك بل دفعه حبه البحث والوصول إلى الجديد من الآراء إلى تحمل الشاق وتجشم الأسفار والاغتراب عن وطنه ، فزار إفريقية الجنوبية وزيلندا الجديدة واستراليا ، ليدرس الأحوال التي تنشأ فيها النباتات المهجنة في الطبيعة ، ثم زار إيطاليا في ربيع سنة ١٩٣١ لإتمام بحثه عن نبات « مهجنات البرميولا » وهو من النباتات التي تنبت في الربيع ، وهناك قضى نحو شهرين أتم فيهما عمله الذي بدأه قبل ذلك بسنوات في منطقة البحيرات الإيطالية

* * *

لقد كان الدكتور لوتس وافر النشاط خصب الإنتاج يسعى بجهد متواصل لا يكل ولا يسأم ، لا تثنيه الصعاب ولا تعوقه العقبات في سبيل ما يسعى إليه وتحقيق ما يريد . فإذا تجاوزنا عن مؤلفاته العلمية والفنية وجدنا له مؤلفات أخرى ذات قيمة عظيمة في دراسة تناسل النباتات منها : (النشوء) وهو كتاب دون فيه آراءه الخاصة ، و « تاريخ نشوء المملكة النباتية » وهو مؤلف عظيم اشتمل على دراسة تسلسلية للنباتات وتطورها ، و كتاب « نظريات التسلسل » وقد ضم فيه محاضراته وغيرها . وقد كانت كتبه موضوعا للبحث والمناقشة ؛ وذلك لأن العلماء كانوا يجدون فيها مجالا للبحث والإنتاج لما كان لصاحبها من ملكة نفاذة

وقد ظل عدة سنوات يحرر مجلة (سنترابات) ويبسط فيها آراءه الخاصة ونتائج أبحاثه الكثيرة ، وقد بلغ لوتس مقاما علميا عظيما فكان يدعى إلى كل المؤتمرات النباتية الدولية ، وتهافتت



من صوت الشعراء :

على طلقات المدافع

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن

توجه أستاذ فاضل في العدد (٩٥٩) من الرسالة الغراء بنداء إلى أربعة من الشعراء ذكر أسماءهم ، وذكرني في عدادهم ، وكان نداؤه نداء عجلا لأنه ظن ... أننا نحن الشعراء نعيش في المريخ . . فقد لا نسمع نداءه ما دمنا لم نسمع أصوات الشهداء في « القنال » .

والحق أن الشعراء قد سمعوا أنباء القناة عبرة محررة . . حتى لقد كاد السأم من العبارات والخطب ، والمقالات والكتب يزهدهم في قيمة الكلام . . فنحن اليوم إلى سلاح صوال ، أحوج منا إلى لسان قوال . .

إن الشعراء يعيشون بينكم — أيها اللائمون — ويحسون بمثل ما تحسون وبأكثر مما تحسون ... ولكني أرجو أن تحمد في أمتنا الأفعال . . لا الأقوال

فمتى ؟ متى يارب نرى العمل الجدي قد بدأ ؟ ونحن حينئذ نكون في طليعة الصفوف ، وفي وسط الحتوف ؟

أيها اللائم أسرفت اللاما ! وتجنيت على الشعر اتهاما !
رب صمت ملأ النفس لظى ساعة الجد ، وأذكاها ضراما
قد شبعنا يا أخي فيكم نداء وشبعنا يا أخي فيكم كلاما . .
وحسبناكم سئمتم خطبا وشبعتم بالعبارات هياما . . !
ما الذي يصنعه الشعر إذا لم يجد رمحا ، ولم يلق حساما ؟
هذه الأقوال لا تحمى شهيدا من ضحايا الحق ، أو تشفى أواما
أطلقوا الدفع . . . لا حنجرة وارجعوا السيف في الحق احتكاما

* * *

إننا نقدر أن نتحفكم بالقوافي علأ الصحف ازدحاما !
إننا نقدر أن نتحفكم بالنشيد الحلو فردا ، وتؤاما !
أترى نقدر أن نسعفكم بصليل يملأ الجو اهتزاما ؟
أترى نقدر أن نسعفكم بالذي يقطع أوصالا وهاما ؟
خبرونا اليوم ما موقفنا أحروبا قد أردنا أم سلاما ؟
كل يوم صفحة مخزية فعلام الصبر ياقومي علاما ؟
لا يرد الشر إلا مثله فادفعوا الشر ، وردوه كراما

* * *

لا تردوا عنكمو غدر الأعادي بالعبارات نثارا ونظاما ...
الكلام اليوم لا يحمي حقوقا والبيان اليوم لا يرعى ذماما . .
أطلقوا الدفع من معقله واملأوا الجو دخانا وقتاما

على طلبه الجامعات الكبيرة في مختلف أنحاء البلاد ، فسافر إلى الولايات المتحدة وزيلندا الجديدة واستراليا وجنوب أفريقيا ثم انتهى إلى مصر . . ومن خصائصه أنه كان لغويا بارعا ناضج الفكر ، ومحدثا لبقا حاضر البديهة . . يحفظ عددا من النوادر التي جمعها من رحلاته الكثيرة . وكان يروي ما شاهد في رحلاته بطريقة شائقة جذابة يظهر فيها الظرف والسخرية من الحياة

وأضاف الدكتور لوتس إلى عالم التناسليات مذهبا يقول بأن أنواعا جديدة تنشأ من مناسلة الأشكال المتعة ، لأنها إذا تناسلت اجتمعت منها مجموعات مختلفة الصفات عن النسل الأول ، وهذه المجموعات لا تلبث أن تنفصل وتبدو في أشكال جديدة مميزة ، وعلى هذا الأساس تنوعت النباتات وغيرها في الزمن الماضي وفي الحاضر وستتنوع في المستقبل

* * *

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣١ أذيع نبأ وفاته ، فكان له وقع أليم في دوائر مصر العلمية . . لأنه كان إلى شهر إبريل من تلك السنة يقوم بعمله في جامعة فؤاد الأول كأستاذ زائر لعلم التناسليات على أحسن وجه

وقد كان لكرم خلقه أثر كبير في إحكام أواصر الصداقة بينه وبين كثيرين من أبناء البلاد المهتمين بالتقدم العلمي ؛ ورغم قصر المدة التي قضاها في مصر فإن اهتمامه بالمسائل النباتية الخاصة بمصر كان ذا أثر عظيم في هذا الميدان

أسيوط — عبد الموجود عبد الحافظ

(القناة) اليوم من روعها … بالخطوب السود غدرا وانتقاما ؟
أطلق الغاصب فيها طبعه … كوحوش الغاب فرسا واهتضاما
ملأوا بالسلم أشداقهمو … ثم راحوا يستفزون السلاما
منطق تفضحه أفعالهم … كشف الصدق عن الزور اللثاما

* * *

مهج الأحرار سالت أنهرا … وعلى الصحراء قد طافت غماما
شهداء الحق في موكبه … والبواكير إلى الله اختصاما
في (القناة) اليوم أجسام تهاوى … وعلى الضفة فيها تترامى
صرعتها كف جبار تنامى … أمسه المملوء خزيا وانهزاما ...
اسألوا «طبرق» عن أبطالها ! … شهدت كثبانها منهم نماما !.

* * *

القناة اليوم صارت صفحة … لمخازيكم ، وللشعب وساما
إن صوت الحق قد أفقدكم … جانب الإنسان رفقا واحتشاما
قد سمعنا وعدكم سبعين عاما … فاسمعوا تصميمنا – ياقوم – عاما

محمد عبد الغني حسن

ذكرى ١٣ نوفمبر:

يوم الجهـــاد

للأستاذ علي متولي صلاح

في صبحك الضاحي صحا الوسنان من طول السبات
وتمرد العاني الأسير على الشكيمة والعصاة
وتأجج الحقد الدفين على القراصنة الغزاة
شبت ضرامات الجها … د فألهبت ظهر الطغاة
وتسعرت نار على الشطين تأكل كل عات
وغدت أناشيد الرعاة زئير آساد الفلاة
... فترنح العادي الأثيم وخر مغلول الشباة
بوركت يا يوم الجهاد المر . . . . . . يا بدء الحياة

* * *

قل للدخيل – وقد غدا يمشي على جمر الغضاة – :
ارحل لدارك واغتنمها فرصة قبـــل الفوات
اذهب وخلفك لعنة … تنصب من كل الجهات
لا تتخذ لك منزلا فينا . . . . ودع شط القناة
لا تلتمس أمنا ولا ترفع قواعد للنجاة
لا ترس آساسا ولا تحلم بهذي الترهات ! !
قسما نزلزلها . : . وإن تك كالجبال الراسيات . .

علي متولي صلاح

إلى روح أمي :

الظل المنحسر

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

(الأم هي واهبة الحياة بعد الله ؛ فاذا فقدها أصحاب الشعور أصبحت حياتهم أقباسا من وهج اللوعة ، وفنونا من عبقرية الألم ، وخريفا لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس . . كلمات تجد أصدق التعبير عنها في هذه الأبيات)

ذهب الظل الذي كان هنا … نعمة من رحمة الله بنا
ذهب الظل وعمري لم يزل … ظامئا يشكو الصدى والوهنا
طاويا في كل يوم رحلة … تنشر الغيب وتطوي الزمنا
الوداع المر أسقاه بها … وأنا أقتات منها الحزنا
كم عزيز في ثناياها مضى … كان دمعي غسله والكفنا !
الصحاري الصفر حولي قصة … أنا أدري منتهاها المحزنا
مد راويها مداها ، ولقد … أرهق النفس وأوهى الأذنا
ملها السمار حتى انتبهوا … ونداء الفجر فيهم أعلنا . .
ما مسيري في طريق عبرت … تربه قبلي دهور ودنى !
فنيت من قبـــل أن تدركه … وخبا في ليلها كل سنا
أنظر الأشباح فيه ذرة … من هباء في فضاء شحنا

حسن كامل الصيرفي

لست أجنى من ثراه ثمرا … غير كد وشجون وضنى !
رحلتى طالت ، وطالت غربتى … فمتى يا روح ألق الوطنا ؟ !
كان لى ظل إذا اشتد اللظى … آوت الروح إليـه لحنا . . .
كان لى ظل إذا امتد الدجى … وجد القلب لديه المأمنا
كان لى ظل إذا عاصفة … زمجرت أسمعنى لحن المنى
كان لى ظل إذا اليأس طغى … ردنى بعـــد ضلال مؤمنا
ذهب الظل فلا مأوى هنا … لغريب ليس يدرى السكنا
الهجير المستبد استمرت … ناره تشوى وهبت ألسنا
وأنا تلفحنى النـار ولا … أجد الظل الذى كان هنـا
حائر الطرف ، أدارى حيرتى … بالسكون الجهم حتى تسكنا
وأرى موكب ليلى زاحفا … أسود الجبهة يطوى الحزنا
قاسيا يقصف فى خطوته … كل عود كان مأمول الجنى
موحشا تزحف فى ظلمته … أرجل الوهم غلاظا خشنا
عابسا أوشك من سحنته … أن أراه ناقماً مضطغنا
غارت الأنجم إلا خادعا … حير العقل وأعشى الأعينا !
عبد النـاس حيـاة ضلة … وأنا أجحد هذا الوثنـا
حيرة طالت على أصحابهـا … كل من فيها ينادى : من أنا ؟
ذهب الآمل فيهـا يائسـا … وذوى المأمول فيهـا وانحنى
يهـدم اليوم وفى سخرية … ما أقام الأمس فيهـا وبنى !
ذهب الظل ولـما أسترح … من عنـاء السير إلا موهنا
ذهب الظل إلى بارئه … فقضت أمى وودعت المنى
جنتى كانت . . ولـكن ذهبت … من أمامى مثلما يخبو السنا
لم تـكن إلا جفوناً أغمضت ، … ورؤى قرت ، وروحاً سكنا . .
ثروة كانت .. وما أغبننى … فى تراب الأرض واربت الغنى !
لم يعد أثمن عنـدى من ثرى … دفنت فيـه أحبائى هنا …

حسن كامل الصيرفي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

محنة الأخلاق فى الجامعة :

« بين عينيك دفء عطره أريج الشهوة الفاغم ، فمن لى باسترواحه !

أيامى مطيرة ، والثلج الناصع يجلل الصنوبر ويزحف من القمم إلى مشارف الوادى ، وليس ينمو غير الوحشة من حولى فأين منى الآن تلك الحرارة المشبوبة بين نهديك ؟!

وحنايا عطفيك وردفيك ، بين اختلاج اللمسة الحائرة وانكسار عينك اللعوب ، نفسى الفداء لمن يحنى رنوا إليها واستمتاعا بها !

أتلمس فى الوردة المجللة بأنداء الفجر ، خديك الناعمين يوم الوداع المشئوم ترف عليهما الدموع من نوافذ القطار ، وفى الحسون المستضحى على أحناء أصفصاف الجاف ، بدنى نهدك وقد ارتمى متناعسا على صدرك العامر متدثرا بشعورك الزاهية المسترسلة ، أيتها الشقراء !

وفى الصخرتين الذهبيتين النافرتين الناتئتين فى صدر اليم ، نهديك المنطلقين بنداء الأنوثة الخالدة فى صمت صارخ . ولقد قيل عن هاتين الصخرتين إنهما تغريان العشق الخائب بالانفلات من طريق الحياة ، وكم أتمنى أنا لو انتحرت بين نهديك !

طعم الحلال تعافه نفسى ، وعلى شاطئ الحرام ألقيت مرسـاتى !

نعتونى بالحماقة ، وفى الحماقة وجدت عقلى !

وصفونى بالضلال ، وفى الضلال تلمست هداى !

تناول الناس من قربانى ، وأنا عند نفسى دنس الأدناس ، فقدس الأقداس عند الناس هو عندى دنس الأدناس !

أنا موحد ، وفى توحيدى حيوية الوثنية !

بل انا وثنى ، وفى وثنيتى حقك التوحيد !

توحيدى حرية الخالق بإزاء المخلوق ، اما غيرى فتوحيده عبودية المخلوق للخالق ، والخالق والمخلوق سواء !

وثنيتى تقدس اللمس ، وتفزع من طغيان البصر !

وثنيتى تمجد الجسد ، وتهزأ بدعوى الروح !

أجل ، فى كيانى عصارة حياة ان ابتاع بها كوثر الأوهام» !

* * *

هذه الكلمات « النظيفة » يوجهها أستاذ جامعى « فاضل » إلى حبيبته ، أو إلى عشيقته . وأنقلها إليك من آخر كتاب أصدره الأستاذ « الفاضل » الذى يشغل كرسى الأستاذية « الموقر » فى جامعة إبراهيم ، ويشرف بمثل هذه الأخلاق « العالية » على تربية جيل من الشبان والفتيات . . الفتيات اللائى دفع بهن الآباء إلى الجامعة ، وتركوهن وديعة بين يدى الأستاذ « الجليل » !

إن القلم ليتعثر فى يدى وأنا أنقل إليك مثل تلك الكلمات المخزية المخجلة ، الداعرة الفاجرة ، الهابطة الساقطة ، التى تتمرغ فى الوحل وتستقر فى الحضيض .. وما كنت أحب والله أن الطخ بمثل تلك الكلمات صفحات الرسالة ولكنه الحرص على سمعة الجامعة ؛ ولهذا نقلت كلمات الأستاذ « الفاضل » لأقدمها مع الأسى والأسف إلى معالى وزير المعارف ، وإلى مدير جامعة إبراهيم ، وإلى عميد كلية الآداب بتلك الجامعة ، وإلى الآباء الذين تركوا فتياتهم كما قلت وديعة بين يدى هذا الأستاذ الذى يصور للناس طبيعة تكوينه الخلقى والنفسى فى صفحات كتاب !

إننى أقرأ مثل تلك الكلمات وماهو أكثر منها هبوطا ومع ذلك لا أعترض ؛ لا أعترض على أصحابها لأنهم ليسوا أساتذة فى الجامعة .. إن الأستاذ الجامعى بحكم منصبه وطبيعة مكانه مسئول عن تقويم الأخلاق وتهذيب المشاعر ، قبل أن يكون مسئولا عن تثقيف العقول وتوجيه الأذهان . وهو بعد ذلك يجب أن يكون مثلا طيبا وقدوة حسنة لجيل يترسم الخطى ويقتفى الأثر وهو على أهبة الخروج إلى الحياة ، خطى المشرفين عليه وأثر الموجهين له من الناحية الخلقية قبل الناحية العقلية !

ماذا يكون شعور جيل من الطلبة والطالبات نحو هذا الأستاذ الجامعى ؟ وماذا تكون نظرته إليه وتأثره به ، إذا كان هذا الأستاذ ينسى واجبه ومسئوليته ، ويتخلى عن حيائه ووقاره ، ويهبط فى تصوير خواطره ومشاعره إلى مستوى السوقة أو مستوى الصبية المراهقين ؟ ! وماذا يقول مدير جامعة إبراهيم وعميد كلية الآداب بتلك الجامعة ، ماذا يقول كل منهما للآباء والقراء عن هذا الأستاذ « المراهق » الذى يريد أن يستمتع بالأعطاف والأرداف ، ويحب أن يستروح أريج الشهوة الفاغم ، ويود أن ينتحر بين النهود ، وتعاف نفسه طعم الحلال وتشتهى طعم الحرام ، ويرى الناس بأن قيمهم المقدسة هى عنده قيم مدنسة ، لأنه يستشعر الدنس فى أعماق ذاته ويعترف به فى غير حياء ، ثم ينتهى إلى أن الخالق والمخلوق فى نظره سواء ؟ !

إننى أود أن يتفضل أحدهم فيقنعنى بأنه لا ضير على الجامعة من أن يكون فيها أساتذة من هذا الطراز ؛ يخرجون كتبا من هذا الطراز ، ويشرفون على توجيه جيل يواجه الحياة بسلاح الخلق قبل أن يواجهها بسلاح العلم ليطمئن إلى المصير ..

أود أن يقنعنى مدير جامعة إبراهيم أو عميد كلية الآداب بأن السمعة الخلقية للجامعة لا يمكن أن ينال منها أستاذ كالدكتور عبد الرحمن بدوى ، وأن السمعة العلمية لا خوف عليها من كتاب ككتابه « الحور والنور » !.. هذا إذا لم تكن هذه السمعة قد اهتزت بعد فضيحة « الإرشارات الإلهية » ! !

شعراء فى الميزان :

لقد ظهر فى عالم الأدب كتابك الأول يحمل بين دفتيه ألوانا من الفن ، وأقباسا من العلم ، وأفانين من الأدب اللباب . ولقد قرأت فاستمتعت ، وفكرت فاقتنعت ، وأحسست فعشت بين النجوم لحظات . أعيدها كلما دفعنى القلب ، وحنت يداى إلى عناق الكتاب ، وطالما سرت معك فى كتابك جنبا إلى جنب ، ويدا فى يد ، وروحا مع روح ، غير أنك فى نهاية الطريق تركتنى لأسير وحدى فى طريق آخر ، وإن كنت ما أزال أراك !

هناك حيث تحدثت عن « وميض الأدب بين غيوم السياسة » لإبراهيم دسوقي أباظه باشا ، وهناك حيث امتد الحديث إلى الشاعر محمود غنيم .. لقد أنكرت شاعرية هذا الشاعر وأسرفت في الإنكار مما دفع بي لأن أقول لك : شيئاً من الرفق ليجمل النقد ، وكثيراً من العدل ليستقيم الميزان ! ترى هل يكون ذلك بعض الشرر من ثورتك المندلعة على « وميض الأدب » ؟ أم هو عدم ارتياحك لشاعر يخالف مذهبك في « الأداء النفسي » ؟ إنني آمل أن تضع الشاعر في مكانه من شعراء العصر ، وأن تضع شعره في مكانه من موازين النقد

مليج منوفية — مصطفى محمود أحمد

أشكر للأديب الفاضل جميل رأيه في الكتاب وحسن ظنه بمؤلفه ، وأشكره مرة أخرى أو أشكر القراء في شخصه لإقبالهم على كتابي الأول هذا الإقبال الذي قلت عنه مرة إنه أخجل القلم في يدي ، القلم الذي ظلمهم يوماً حين نعتهم بأنهم لا يقرأون .. بعد هذا أبادر فأقول له : إن رأيي في الشاعر محمود غنيم ليس بعض الشرر من ثورتي المندلعة على « وميض الأدب » ، لأنه رأي قديم يسبق ظهور هذا الكتاب الذي هيأ له الفرصة لأطلع به على جمهرة القراء ! وإذا كان هذا هو رأيي في شعر الأستاذ غنيم ، فأود أن أؤكد للأديب الفاضل أنني لن أتحول عنه في يوم من الأيام إلا إذا تحول هذا الشاعر عن فهمه لحقيقة الشعر ، واستطاع على هدى هذا الفهم أن يسير في ركب الشعراء المحلقين . . ولقد كفاني الأديب صاحب الرسالة مشقة التفسير والتبرير ، حين أصاب الهدف في الشق الأخير من سؤاله وأشار إلى مذهب الأداء النفسي تلك الإشارة التي تحمل بين طياتها الجواب !

وما دمنا ندور حول هذا الأداء في الشعر وننكر كل ما عداه ، فمن الطبيعي أن نعترف بشعراء من طراز علي محمود طه وإيليا أبي ماضي ومحمود حسن إسماعيل ؛ وألا نقيم وزناً لغيرهم . . لأن ممن يرى أن الشعر كل « كلام » مقفى وموزون ! هذا رأي أقدمه خالصاً لوجه الله والفن ، وإن القراء ليعرفون أنني لا أتحامل على الخصم ولا أجامل الصديق ، بل ما أكثر الأصدقاء الذين أغضبهم رأيي في أدبهم فضنوا علي بودهم وانتقلوا إلى معسكر الخصوم . . ومع ذلك فأنا كما قلت غير مرة لا أحب أن أتحكم في أذواق الناس ، لأنه لا يدهشني أن يوجد مثلاً من يفضل محمود غنيم على أمير الشعراء ؛ بعد أن فضل عليه الرصافي فريق من الناس يجيد النكتة كما يجيدها بعض الظرفاء !

أنور المعداوي



مسمار جحا

رد على تعقيب

للأستاذ أنور فتح الله

فى العدد الماضى من الرسالة ، تفضل الصديق الكريم الأستاذ على أحمد باكثير بالتعقيب على نقدنا لمسرحيته « مسمار جحا » المنشور فى العدد رقم ٩٥٧

ونحن إذ نشكره على اهتمامه بالتعقيب على النقد ، سنتناول التعقيب بالرد ، لنوضح رأينا فى القضايا الفنية التى أثارها

... استهل المؤلف تعقيبه بالرد على المأخذ الأول ، الخاص بإذاعة سر مؤامرة جحا وحماد قبل عرض قضية المسمار ؛ فاتفق معنا على أن إخفاء المؤامرة يقوى عنصر التشويق .. وخالفنا فى أن كشف المؤامرة قد أضاع الأثر القوى لهذا المشهد ، لأنه يرى أن كيفية تنفيذ المؤامرة وما فيها من جدة وطرافة لا يؤثر معها انكشاف المؤامرة فى خطوطها الأولى ...

.. وجوابنا على ذلك أن هـذا المنطق يستقيم لو أن المؤامرة أحبطت ولم تنفذ ، إذن لما كان هناك قضاء على عنصر التشويق . أما والمؤامرة قد نفذت من خطوطها الرئيسية ، فإن الكشف عنها قد قضى على التشويق فى أهم أحداث المسرحية ، وأضاع الأثر النفسى لهذا الحادث ، ولا تغنى الجدة والطرافة شيئاً فى هذه الحالة لأنها ليست بذات أهمية بالنسبة لهذا الحادث الرئيسى . بل إن فى الكشف من هذه المؤامرة قضاء على الرمزية فى مشهد قضية المسمار ، فأصبح مباشراً وفقد بذلك مضمونه الرمزى . فبدلا من أن يترك الشاهد يتبين نفسه ، ويلمس قضيته من خلال المشهد الرمزى ، جاء المؤلف بمرآة صريحة وقال له «أنظر فى هـذه المرآة لترى وجهك» . وكنا نرجو أن يبدو مشهد المؤامرة على المسرح ، فى نفس الصورة المطبوعة من المسرحية ، إذ لا فرق فى البناء المسرحى بين المسرحية المعروضة والمسرحية المطبوعة ، فعنصر التشويق يجب أن يتوفر فى كل منهما

وقد رد المؤلف على المأخذ الثانى ، الخاص بدخول امرأة جحا فى مشهد القضية فقال .. إن دخولها كان أساسيا .. لأنها طرف ثالث فى النزاع ، وأنها لا يعنيها هدف زوجها القومى .. وأن ذلك يجلو جانبا من شخصيتى جحا وامرأته وهو عدم استحيائهما من كشف دخائل بيتهما .. وإن دخول أم الغصن قد تم فى خلاله تحول غانم من التشدد إلى التسامح عندما رشاه الحاكم .. وسنحاول الرد على هذه الأسباب الأربعة .

أما السببان الأولان فـلا ضرورة لهما لأن المؤلف أغنى الشاهد عن التساؤل عن موقف أم الغصن بعد خروجها من الدار .. وأبرزها فى الصورة التى أرادها لها فى نهاية المنظر الثالث عندما أرادت طرد حماد من الدار فأجابها بأنه لن يخرج من داره .. وكذلك فى أول المنظر السادس عندما جعلها تلعن حمادا لأنه كان السبب فى إخراجها من الدار .. أما من حيث جلاء ذلك الجانب من شخصيتى جحا وأم الغصن فكان فى مقدور المؤلف إبراز ذلك فى غير مشهد القضية .. ومن حيث تحول غانم بعد ما رشاه الحاكم فكان من السهل إبراز ذلك فى صورة أوضح ودون حاجة إلى دخول أم الغصن .. وذلك بأن ينتحى الحاكم بغانم فى أحد جوانب المسرح ويسر إليه ببضع كلمات .. وإذن ، فلم تكن هناك ضرورة لدخول أم الغصن فى مشهد القضية . وليس من شك فى أن دخولها لم يحبس الأثر النفسى مؤقتا عن صعوده — كما يقول المؤلف — بل إنه قضى عليه لتحول انتباه الشاهد ونفوره من هذه المرأة الثقيلة الظل

.. أما قول المؤلف بأن العرض على المسرح قد جاء مصدقاً

لوجهة نظره ؛ لجوابنا عليه ، أننا إنما استقينا وجهة نظرنا هذه من العرض على المسرح ، فسجلنا الأثر الذى انطبع فى النفس ؛ وأعتقد أن نظرة الناقد أكثر تجرداً من نظرة المؤلف ، لأنه إنما ينظر إلى عمله الفنى كقطعة منه ، عزيزة عليه !

... وفيما يختص بالمأخذ الثالث الخاص بمشهد السجن ، وما أخذناه عليه من طول ، وتحول فى الحوار من الرمزية إلى المباشرة الخ . . فقد قال المؤلف إنه لم يعد للرمزية مكان فيه بعد ما سار الصراع بين جحا والحاكم صريحا ، وإنه احتفظ بقدر كبير من رمزية التعبير . . ونحب أولا أن نلفت النظر إلى أننا نقصد الرمزية بين واقع المسرحية ، والواقع الحاضر . . والذى نلاحظه أن المؤلف جعل الواقع المسرحى مطابقا للواقع الذى نعيش فيه ، وبهذا مزج المشاهد من واقع المسرحية إلى واقعه الحى ولم يعد مندمجا فى الحياة التى يراها على المسرح . . وكان على المؤلف أن يخالف الواقع فى بعض الخطوط ليخدع المشاهد ، ويجتذبه إلى المسرح . . أما القول بأن النغمة الخطابية كانت فى مواضع خاصة لا تصلح فيها غير هذه النغمة لتساوق الحالة النفسية ، فذلك ما نخالف فيه المؤلف ، لأن الصدق فى تصوير الحالة النفسية يؤدى إلى الطبيعة ، أما النغمة الخطابية فتميل إلى المبالغة ، وفى المبالغة افتعال وخروج على الطبيعة

وقد رد المؤلف على المأخذ الرابع ، الخاص بانتهاء المسرحية دراماتيكيا فى نهاية المنظر الخامس ، بأن هناك من يخالفنى فى هذا الرأى الخ . . وإيضاحاً لوجهة نظرنا نقول إنه وإن كان خط الصراع بين جحا وامرأته هو الخط الرئيسى فى بناء هيكل المسرحية ، إلا أن هذا الخط يعتبر خادماً لخط الصراع الرئيسى ، ولما كانت وظيفته إبراز هذا الخط ، فيجب أن ينتهى حيث ينتهى الصراع الرئيسى

. . ومن حيث المأخذ الخامس الخاص باقتصار المؤلف فى تصويره لشخصية أم الغصن على إبراز اللون الواحد . . وتعقيب المؤلف على ذلك بأنها شخصية محورية ، والشخصية المحورية تكون دائما مكتملة النضج من بدء الرواية . . تقرر أننا لا نعارض هذا الرأى ، ولكنا نعارض ذلك التكرار فى عرض اللون الواحد فى كل منظر ظهرت فيه أم الغصن ، وكان على المؤلف أن يوزع تصويره لجوانب هذه الشخصية على المناظر التى ظهرت فيها ، لا أن يعرض الجوانب المختلفة لهذه الشخصية فى كل منظر ظهرت فيه ، وذلك دون مساس بموقفها من الصراع الذى تمثل أحد طرفيه

... أما شخصية الغصن ، فقد عقب المؤلف على نقدنا لها بأنها تنطوى على سيكلوجية دقيقة ، وأن هذا البله شديد التعقيد ، فهو واسع الخيال جامحه ، وهو يجمع بين التناقضات من ذكاء وبلاهة فى وقت واحد ، والاقتصار على اللون الواحد وهو الاهتمام بديكه أمر ضرورى لبيان مراحل التطور النفسى لهذه الشخصية ، ثم راح المؤلف يسرد علينا قصة التطورات النفسية . .

... وجوابنا على ذلك من ناحيتين . . الناحية السيكلوجية . . والناحية الفنية . . أما من الأولى . . فنلاحظ التناقض فى تصوير شخصية الغصن لجمعها بين البله والذكاء وسمة الخيال . . فالبله كما هو معروف علميا درجة منخفضة من درجات الضعف العقلى . . ولا يمكن بحال أن يتصف صاحبه فى نفس الوقت بالذكاء . . لأن الذكاء درجة مرتفعة من القوة العقلية . وسمة الخيال تستلزم قدرة عقلية تسمو على درجة البله . والشخصية التى تجمع بين البله والذكاء وسمة الخيال غير موجودة أصلا فى الحياة من الوجهة العلمية ، وبهذا يكون التصوير السيكلوجى لهذه الشخصية متناقضا

... ومن الناحية الفنية ، فإن تصوير هذه الشخصية كان قاصرا على إبراز البله فى دائرة واحدة هى قصة حب عرجون لديكه ، وهذه الدائرة تعاد وتكرر فى لون واحد

وأخيراً . . فنحن نرى أن هذه الشخصية زائدة ، ولا ارتباط بينها وبين أحداث المسرحية ، ولو حذفناها لما تأثرت الأحداث بذلك

وبعد . . لعلى أكون قد أخلصت فى نقدى لمسرحية المؤلف الصديق ، ليصل بفنه إلى الكمال الذى أرجوه له

أنور فتح الله

الكتب

النيـــــل

تأليف اميل لودويغ

ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

الآن أنجزت قراءة كتاب ضخم ! إنه كتاب النيل ، وكفى به تعريفا أن نقول : ألفه أميل لودويغ وترجمه عادل زعيتر !

إنه يقع في (٧٤٥) صفحة ، أنيق الطبع ، صقيل الورق ، شأن ما تطبعه دار المعارف بمصر

هذا الكتاب العظيم ، قضى لودويغ في تأليفه ست سنوات وقام من أجله بثلاث رحلات ، درس في أثنائها جميع النيل الأبيض في أوغندة والسودان والنيل الأزرق في الحبشة حيث بلغ منابعه ، وفي السودان . ومما يذكر أن المغفور له «الملك فؤاد» قد وضع باخرة تحت تصرف المؤلف تيسيراً لمهمته وعرفانا بأهميتها

ولاح النيل للودويغ كعظماء الرجال فاستنبط من طبيعته تسلسل حوادث حياته ، وأبان كيف أن الوليد وهو يتفلت من الغابة البكر ينمو مصارعا ثم تفتر همته ويكاد ينفد ثم يخرج ظافراً ، والنيل في عام رجولته يقاتل الإنسان فيقهر ويروض ويوجب سعادة الناس ولكنه قبل ختام جريته — يسبب من المآسي أكثر مما في شبابه ، فقارئ الكتاب إذن إنما يقرأ وصف حياة ، لا كتاب دليل ، وإنما يقرأ مغامرات النيل لا مغامرات لودويغ

وأول ما يأخذك في الكتاب هذا الوصف الذي امتاز به لودويغ وتلك الملاحظة الدقيقة التي أثرت عنه ، فيبهرك وصفه للطير وللبعير وللفيل ، ويبهرك وصفه للتمساح والحوت والنعامة والزرافة والبقر الماء . ويبهرك كذلك وصفه للشعوب وعاداتها وطبائعها ، وهو ينقلك من أقزام الباكوا إلى الزنوج إلى أكلة لحوم البشر إلى شعب الباهيما في أوغندا ثم إلى الحبشة ليعرفك بقساوستها ويشركك في أعيادهم وطقوسهم ويجمعك بمسلميها ويهودها ثم ينتقل بك إلى النوبيين

هذا الوصاف البارع والملاحظ النبيه لا ينتقل بك في وصفه انتقالا جغرافيا ليطلعك فيه على دقائق شعوب الوادي ونباتاته وحيواناته فقط ، وإنما يطوي بك الزمن القهقرى ليريك بعينيك حياة الفراعنة ، ثم يعرض عليك رقا سينمائيا يريك فيه بسرعة الرق السينمائي ، تتابع الأحداث في مصر ، فترى الفرس والأغارقة ، وترى إنشاء الإسكندرية — وهو أهم حادث في تاريخ مصر — وتجتلي طلعة كليوباترة التي عني المؤلف بسيرتها (وله فيها كتاب مشهور) ، وترى المسيحية تدخل مصر ، وترى الإسلام ، حتى إذا انتقل بك إلى الفاطميين والمماليك رأيت عجبا ورأيتك في زفة العرس أو في موكب الختان أو في صميم خناقات الأزهريين ، وينتقل بك إلى العهد النابليوني فالعلوي ويجمعك بإسماعيل ويسرد لك قصة قناة السويس وينتهي بك إلى القول الفاصل الذي تردده اليوم في ثورتك الراهنة على الإنكليز ؛ إنه يقول : « والحق أن العالم بأجمعه استفاد من فتح البرزخ وإن مصر وحدها هي التي خسرت به ... وكان إسماعيل راغبا في إنشاء القناة من أجل مصر لا أن تكون مصر خادمة للقناة » ثم يهمس في أذنك : « إن الملك فؤادا قد أخبرني بأن إسماعيل كان عازما على التخلص من متبوعه الضعيف بأن يعلن في افتتاح القناة في خطبة مدوية استقلال مصر وينادي بنفسه ملكا ، ولكن هذا المشروع قدمني بالإخفاق في الدقيقة الأخيرة لما كان من اعتراض دولة أجنبية »

وإذا ما وصل بك إلى عرابي وحركته أخذ عليه فقدانه حزمه في الساعة الحاسمة ، ولكنه أنصفه ، ونقل إليك قول الجنرال غوردون الاسكتلاندي فيه : « ومهما يصب به عرابي فإنه سيبعث قرونا في ذاكرة الشعب الذي لن يقول ثانية : خادمكم الخاضع » وقد يزدهيك قول لودويغ في الحديث عن ضرب الإسكندرية والغزو البريطاني : « إن الذي لا ريب فيه

هو أن المصريين قاوموا ذلك الغزو الأجنبي في أساليبهم بحمية لم يبدوا مثلها في ألوف السنين، كما أنهم أظهروا من العزم والشعور القوى ما لم يظهروا مثله في تاريخهم الطويل » ويرى لودويغ أن يعرفك بكرومر ويحملك على تقدير روحه العملية ونزاهته وعطاله من اللهو وإشعاره الفلاح المصرى أنه مساو للباشا أمام الله والقانون، ولكنه يحملك كذلك على استنكار رعاية كرومر للامتيازات الأجنبية ، ويثير فيك النقمة من سياسة التعليم في عهده ، وأخيرا ينقلك إلى الثورة المصرية ويعرفك بسعد زغلول : « ويسأل مكدونالد رئيس الوزارة البريطانية زغلولا عن المكان الذى يود أن ترد إليه كتائب الإنكليز فيجيبه قائلا : إلى إنكلترا يا سيدى الوزير ... »

أما معاهدة سنة ١٩٣٦ فقد يروقك أن تعلم — وأنت الذى صفقت اليوم لإلغائها — أن لودويغ قال فيها : « إنها اتفاق لا يحقق جميع آمال المصريين لأن الإنكليز سيقضون سنين طويلة لإنشاء بضع ثكن، ولأن الجلاء عن القاهرة لا يؤدى إلى الجلاء عن قناة السويس . ومع ذلك تسير مصر لتستقل هى والسودان ، ويتوقف كل شئ في السنوات الآتية القليلة على أحد البلدين الذى يظهر فيه القطب السياسى الأعظم اقتدارا ، وسيعرف هذا السياسى كيف ينتفع بالحرب القادمة لحل تلك المسألة »

لقد قدمت للقارئ لودويغ وصافا مبدعا للحيوان والنبات ، للشعوب والعادات ، للأحداث والأحوال، ولكننى أحب أن أقول إنه وصف السدود — كسد أسوان — وقارن بينها وبين سدود العالم ، ووصف الأقنية والرى وصفا لا يستطيعه غير مهندس رى قدير ...

وفى أثناء ذلك كله يحرص لودويغ على استيفاء عنصر المقارنة والتشبيه ، فيقارن بين محمد على ونابليون مثلا ، ويقارن بين زغلول وعرابى ، ويحرص فيما يحرص على عنصر الحكاية الشائقة فيلذ لك أن تقرأ قصة بلقيس وملوك الحبشة ، وتروقك حكاية الفرعون أمازيس الذى يعزل القضاة الذين برأوه فى فتائه لأنهم صدقوه مثبتا جهلهم ... ويكافئ من حكموا عليه فى شبابه لما أبدوه من فطنة ... ويأمر بصب طشت من ذهب كان يغسل فيه رجليه وأن يصنع منه تمثال للرب ... ويبجل الندماء هذا التمثال ويخبرهم أمازيس بأنه صنعه من الطشت الذى كان يبصق فيه ..» وتروقك حكاية النصرانية فى مصر ودور القديسين بولس وأنطوان ...

وقد يدهشك أن تعلم أن ملك الحبشة عرض الزواج من الملكة فيكتوريا، وأن حربا نشبت على أثر الرفض، وأن تيودور ملك الحبشة لم يلبث حتى انتحر ... وسيأتيك فى الكتاب حديث النجاشى منليك فى معركة عدوى ، وحديث شامبليون الدءوب ، وطرائف عن محمد على فى السودان ومقتل ابنه وما كان من أمر محمد المهدى والتعايشى ومقتل غوردون وحملة كتشنر ومقتل الخليفة ونبش قبر المهدى وقصة مارشان وفاشودة

وتروقك كثيرا وأنت تقرأ الكتاب لفتات للودويغ بارعات وتعليقات طريفات وأحكام تشفى الصدور ، فإذا تحدث عن الزنوج قال : « إنهم يجهلون أن الرجل فى أوربة لا يحق له أن يتزوج أكثر من امرأة واحدة ولكنه ينال زوج جاره بلا جزاء على حين يمكن الزنجى هنا أن ينكح عدة أزواج ولكن من غير أن يأخذ زوج الجار بلا عقاب »

وحين يكون منبع النيل فى بلد آخر وتنافر الفريقان فصرف ساكن المجرى الفوقانى منبع الماء وجهته عن خبث فإن الاشتراع الدولى فى أمور الرى لا ينفع « إنه اشتراع وهمى ككل حق دولى »

وإذا تحدث عن الحكم الثنائى فى السودان قال : « إن هذا النظام يثير حيرة الجميع لتوزيع الحقوق بين الفريقين توزيعا غير متساو ويمكن أن يقال إن هذا قران شرقى تقدم به الزوج ما لها وتضع أولادها من غير أن تنال فى مقابل ذلك غير حق الحياة ، أى ماء النيل ، وهى مع ذلك زوجة شرعية عرفى الأحوال العظيمة تحت أقواس نصر ، راكبة حصانا بجانب بعلها ، مستورة بالحلى محجبة تماما ... »

ولودويغ إذا ما تحدث عن دخول مصر فى الإسلام ووصف ما سبق ذلك من فوضى قال : « ولكن القضاء على تلك الفوضى كان يتطلب أمة جديدة لم يقدر على استعبادها الأشوريون والفرس والمصريون والبطالسة والرومان » ، ولودويغ يتحدث من هوان

المرأة لدى المسلمين وما رافق ذلك من عادات ، ثم يقول : «ومن المحتمل أن تكون هذه العادات قد عاقت تقدم الإسلام الذى هو أكثر الأديان رجولة ، ومن المحتمل أن يكون هوان المرأة قد أفقده العالم بعد أن كان فى قبضته »

وسوف يعجبك قوله فى محمد على وما يراه من خير للبلد فى ذبح المماليك وأنه قد قام بأول تجربة لاشتراكية حكومية؛ وأن حكمه نظام استبدادى فى صلاح إدارى وأنه أول من ضمن حرية الأديان وسلامة جميع طبقات المجتمع وأموالها

وإذا انتقل بك إلى حديث الحشيش وأطرفك بأنبائه وقارن بينه وبين الغازات السامة قال لك كذلك « إن العدالة التى تحكم على متعاطى المخدرات بالسجن سنوات ولا تقضى بحبس تاجر المخدرات التركى غير بضعة أشهر لعدالة عرجاء »

ولعله من أبرز ما لحظه المؤلف تأثير الإقليم فى الشعب المصرى وقد سمى الشمس والنيل إلهى ذلك الإقليم . والشعب المصرى مدين للشمس بالقناعة ومرح ، الحياة ومدين للنيل بروح النظام والطاعة « وهنا قامت دولة جعلت من فرعون إلهاً وجعلت من العمل ضرورة ومن الرى فنا ومن العقل والجلى مبدأ ... وفى هذا البلد يظهر أن الشمس خفضت إرادة التمرد بما فرضه من حساب ، ومع ما كان من اختراع هذا الشعب أموراً كبيرة قبل الشعوب الأخرى بألوف السنين ـ حاشا ما تم فى وادى الفرات ـ ومع ما كان من عظمة هذا الشعب بملمه وآثاره التى تنطوى على حسابات بادية حتى فى أقدم التماثيل ، كان هذا الشعب العمل ، المقدام ، عاجزاً من إيجاده لنفسه عالما علويا ، فلم يكن العالم المنوع الذى تصوره عما بعد الموت غير صورة من حياتهم فى هذه الدنيا ، فقد جعلهم خوفهم من المنصر ، من النيل ، أتقياء ، اجتماعيين، محافظين»

وظاهرة الكتاب الأولى هذا المطف الذى يثيره فى نفسك على الفلاح المصرى، وذلك الرثاء البليغ لحاله والوصف الأبلغ لمعايشه وطرز حياته منذ أقدم العصور حتى اليوم ، وتكاد صفحات الكتاب تدعو إلى تحريره وإلى النهوض به

وأما الجهد الذى بذله الأستاذ الجليل عادل زعيتر فى التعريب جبار . وأنت إذا لمست قدرته على إيجاد الأسماء العربية للمئات من النباتات والحيوانات ، وأنت إذا أمعنت النظر فى تعريبه للمصطلحات العلمية وفى اشتقاقاته أيقنت أن جهده الفردى هو جهد مجمع علمى كامل الأدوات ؛ وأيقنت أنه فى وفرة إنتاجه السنوى وفى صحة لغته وقوة بيانه مؤسسة قائمة بذاتها . وما تقول فى من أتحف العربية بمشرين مجلداً ضخما من نفائس القرائح العالمية فى بيان عربى ناصع وأسلوب متين ؟

وقارئ كتاب النيل وغيره من معربات عادل زعيتر يدرك أنه الرجل الذى أعلى راية اللغة العربية وذلل أمامها كل صعب وأخضع لشوكتها أرق اللغات؛ وبرهن على أن اللغة التى وسعت آى الله ونزل بها كتابه المظيم لن تضيق عن كتاب فى هذه الدنيا ما توفر على التعريب عالم نابغ ، دءوب ، ضليع كعادل زعيتر

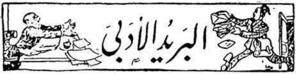
هذا وقد تطغى على الأستاذ زعيتر أحيانا الناحية اللغوية فتظن أن الكتاب كتاب لغة ، فتراه يطعم اللغة مقدارا من الكلمات غير المألوفة، وتراه كثيرا ما يشكل الكلمات وكثيرا ما يؤثر غير الشائع على الشائع ، وقد يكون هذا مأخذاً عليه فى رأى البعض ولا سيما فى كتب تكون فى أصلها غامضة الفكر والتعبير ككتب لودويغ . وقد يكون فى جنوحه إلى ذلك مقدرا فى رأى البعض الآخر من رواد الفوائد اللغوية

ولعل من مبتكرات المعرب الموفقة اجتنابه تكرار النسبة فى الكلمات المعربة خلافا لما اعتمده كتابنا فهو يقول : دبلمى وكلاسى وميكانى وبلجى.. بدلا من دبلماسى وكلاسيكى وميكانيكى وبلجيكى.. والمترجم حين يقدم لكتابه يرجو أن يكون قد قدم إلى إخوانه أبناء النيل هدية صغيرة ليعرب لهم بها عن مودته لوادى النيل ، البلد الكريم الذى أحبه كثيرا

وفى الحق أن نقول للأستاذ زعيتر : إنها هدية كبيرة ، ومن الحق أن نعيد القول :

هذا كتاب .. كفى به تعريفا أن يكون من النيل وأن يؤلفه أميل لودويغ وأن يعربه عادل زعيتر

القاهرة مطالع



جمال الدين أباظة بك :

من هذا المكان يا عمى الذى طالما أحببت أن تقرأ لى فيه ، والذى كنت تقرأ فيه ما سمعته قبل أن ينشر ..

من هذا المكان الذى رأيتنى فيه منذ بدأت أكتب حتى اليوم .. من هذا المكان أحب أن أكتب ..

ولكن أترانى أستطيع ؟ أحاول كلما فكرت فى ذلك أن أنفى عنك فكرة الموت ولكنها تلاحقنى فيك فأبعدها .. هى الحقيقة الثابتة . وأنا الجازع منها لا أستطيع أن أصدق . ولا أستطيع أن أكذب ، فماذا أقول لك ؟

أحقا انتهى الأمر ؟ أحقا لم يعد فى استطاعتى أن أذهب إلى الضاحية التى أشرقت بك حينا من الزمان، والتى بها لاقيت أو لاقينا نحن فيك المصاب ؟ أحقا لن أخاطبك بعد الآن لأسألك رأيك وأطلب مشورتك؟ أحقا لن نلتقى فى تلك الأماكن التى طالما التقينا بها ؟ أحقا لن تراعينى بعد اليوم كما كنت تفعل .. أحقا لن تفرح بى كما فرحت بنفسى وكما فرح بى أبواى ؟ وحقا لن تألم لى كما ألمت لنفسى أو ألم لى أبواى ؟ أحقا لن نذهب بعد اليوم فى كل يوم سبت إلى الندوة المعهودة ؟ أحقا لن تطلب منى أن أنتظرك فى المقصف الملاصق لباب اللوق .. أحقا لن أقرأ عليك هذا الكلام .. أحقا خلت كل هذه الأماكن منك ؟ أو لتخل هذه الأمكنة المادية . ولتقفر المناضد التى جلسنا إليها ولينضب الورد الذى نهلت منه . ولكن مكانك فى النفس لن يخلو .. سأنظر إليه كلما أقدمت على أمر .. سأظل أنظر إليه ألتمس العون وأسأل المشورة . ولن يبخل . وهل بخلت أنت يوما .. وهل بخلت أنت بشئ .. كنت الصفاء فى هذه الحياة المكدرة ..

كنا كلما فكرنا فى شخصك مثلت لنا القمة التى ترتقى إليها الإنسانية . بل مثلت لنا الملائكة . كنت تثبت لنا بوجودك أن هذه المعانى السامية التى قد نسمع بها ولا نراها موجودة قائمة رائعة . سامية . جليلة .. كانت إياك فى تسامحك حتى لتنزل عن نفسك، وكانت إياك فى رقتك حتى ليخجل محادثك من ماديته. ثم أنت لا تشعر بارتفاعك .. وكانت إياك فى تواضعك وترفعك .. فى بساطتك وكبريائك .. وكانت إياك فى كل خلقك .. وبعد .. عساه .. ماذا أقول .. أأقول ألما ..؟

ما أهون ! أأقول جزعنا .. لا يكفى .. أأقول فقدنا فيك إيماننا بالسمو مع التواضع والزهد مع العظمة .. أأقول فقدنا فيك إيماننا بإنسانية الإنسان .. لا .. إن شيئا من هذا لا يجرؤ أن يعبر عما فقدنا . كل ما نستطيع أن نقول إننا فقدنا جمال الدين أباظة بك .. فقدناه لراحته هو فنحن لم نفقده .. وإنما نفتقده ولا نجده ..

كنت هنا فى الأرض تشيع حولك جوا ملائكيا ، ساميا ، طاهرا ، رفيعا . وكنت تنعم بما تشيع وينعم به الجالسون إليك؛ ثم ما تلبث هذه الأرض النكدة أن تذكرك أنك ما زلت عليها ليشتبك الحديث فى ماديات أنت أزهد الناس فيها . وإذا انتهت الجلسة وانصرف أصحابها واضطربوا مع الحياة أذلتهم وأذكرتهم بأنهم هنا .. هنا ما زالوا أبناءها وعبادها. وكنت وحدك تترفع عن عبادتها فلا تتجه بوجهك لغير الله . ولا تذكر فى نفسك غير هذه الملائكية الرقيقة التى أنشأتها على الأرض . أما الآن فاهدأ ولنجزع نحن .. اهدأ فقد أصبحت فى المكان الذى طالما تمنيت أن تكون فيه ، وها نحن أولاء ما زلنا ننظر إلى مكانك فنرتفع معك بأفكارنا لنهدأ وترتاح جوانبنا أن أصبحت أنت فى أهنأ مقام ثم نهبط بأنفسنا إلى هنا .. إلى حيث نحن الآن ، فتلتاع النفس حسرات وشوقا ، ونريد أن نهرب من هذه الحياة إلى سمائك التى كنت تنشئها على الأرض فإذا هى قد ارتفعت إلى السماء التى أعد الله فيها جنات لك والمتقين .. وهكذا نهرب من الحياة إلى الحزن عليك ، ثم هى تحاول أن تلهينا ولكن عز فيك التلهى وجل فيك العزاء .

وبعد . فيا عماه . . ماذا أقول ؟ . أينتهى هكذا مجال القول فيك ؟ أقسم أنه ما ضاق إلا لسعته وما عجزنا إلا لمصابنا .. فما أنت بالراحل الذى يكفى فيه البكاء ؟ ولكن من هذا المكان

الذى أحببت أن تقرأ لى أحببت أنا أن أكتب إليك مما كنت تسمع وتقرأ . ولكننى اليوم وامصيبتاه . . لن أستطيع أن أسمعك . . فإذا قرأته فلن أعرف رأيك فيه . . وما أحتاج الرأى اليوم ، فما هى إلا عبرات شاء بهـا القلم أن يجارى تلك العبرات المنهمرة من صاحبه . وكلانا العاجز الذى يعلم عجزه . ولا يستطيع أن يواريه . بل هو يرى فى الظهور به بعض التخفيف مما يلاق . .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

ثروت أباظة

كيف نشأ امام العبد ؟

سؤال طريف وجهه إلينا الأديب الفاضل الأستاذ محمد فتحى الجمل بعد أن قرأ مقالنا السالف عن الشاعر المسكين . وقد لاحظت أن الإجابة عن أكثره تتضح من مقالنا عنه ، فقد ألمت إلى نشأته المضطربة ، وتربيته العوجاء ، لأحلل الدوافع النفسية التى أضرمت فى شعره جذوات الأسف والاكتئاب .

ولعل الناقد الفاضل ممن لا يقنعون بالتحليل الأدبى الذى يتخذ من تاريخ الأديب دعامة يستند إليها فى فهم الدوافع والأسباب ، فهو يريده تاريخا محددا باليوم والشهر والمكان قبل كل شئ

ومن الإنصاف أن نقول إن سؤال الأديب من حياة إمام لتعلمية ، يحتاج إلى إجابة جديدة لا توجد فى المقال ، وقد جاء فى كتاب (تاريخ أدب الشعب) للأستاذين حسين مظلوم رياض ومحمد الصباحى : « أن إماما مكث فى مدرسة ابتدائية مدة قصيرة ، ثم انقطع فجأة عن التعليم دون أن يتم المرحلة الأولى » ولعله فعل ذلك ليتلقى دراسته الواسعة فى ساحة الحياة ، بين صفحات الكتب ، وفى الحلقات الأدبية التى كان يعقدها المتأدبون لعهده بالأندية والمقاهى الشعبية ، وفيها تخرج أكثر أدباء العهد الماضى من كتاب وشعراء .

وإنى لأشكر الأديب الفاضل شكرا جزيلا ، راجيا أن أكون عند ظنه الكريم

(الرمل) محمد رجب البيومى

حول كلمة « سائر »

من الاطلاع على كثير من كتابات ومقالات الكتاب الذين يوردون كلمة (سائر) فى كتاباتهم ، رؤى أنهم يضعون هذه اللفظة للدلالة على (الكل والجميع) والحقيقة أنه لا يصح معنى هذه اللفظة إلا بمعنى (البعض أو البقية) فقد جاء فى (القاموس المحيط) فى مادة (السؤر) : وفيه سؤرة ، أى بقية شباب ، وسؤرة من القرآن ، لغة فى سورة ، والسائر الباقى لا الجميع . وضاف أعرابى قوما فامروا الجارية تطيبه ، فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى . ألخ . انتهى

وجاء أيضا فى (الشعر والشعراء) لابن قتيبة عند ذكر الشارح لبيت (الشنفرى) من قصيدة :

إذا حملوا رأسى وفى الرأس أكثرى

وغودر عند الملتقى ثم سائرى

سائرى ، أى باقى جسدى ، وسائر كل شئ باقيه وليس جميعه ، نبه عليه الحريرى فى درة الغواص

شرقى الأردن محمد سعيد الجنيدى العلوى

فى كتاب (المهدى والمهدوية) :

قرأت ما كتبه حضرة المفضال الدكتور أحمد أمين بك فى سلسلة « اقرأ » تحت عنوان : (المهدى والمهدوية) ، وهو بلا ريب فى الذروة من الطرافة والفائدة ، كـكل ما يطلع به علينا الأستاذ من مقالات ومؤلفات فى مختلف الموضوعات

وقد استوقف نظرى أثناء المطالعة بيت من الشعر فى أسفل الصفحة الرابعة والستين من الكتاب المذكور وهو :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن (جسمان) حللنا بدنا

وقد استعصى على ذهنى معنى الشطر الثانى ، إذ الجسم والبدن مؤداهما واحد . والذى دعانى إلى كد الذهن فى فهم هذا الشطر أنه من أقوال الصوفية ، وللصوفية فى تفسير الألفاظ مذاهب شتى ملتوية ، وقد وقعت أخيرا على كتاب حديث يبحث فى (الشعر الصوفى) للأستاذ نسيب الاختيار ، فعثرت فى الصفحة التاسعة

والستين منه على هذه الأبيات مروية على هذا النحو :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن (روحان) حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

وهـذه هي نزعة الحلاج الحلولية والوحدة المطلقة التي يدين بها في حياته واضطهد من أجلها ومات في سبيلها ، وهي تظهر أجلى ما يكون لفهم هذين البيتين على ضوء هذه الأبيات :

سبحان من أظهر ناسوته   سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً   في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه   كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد استعمل الأستاذ لفظة (كافة) مضافة إلى ما بعدها في الصفحة الثانية بعد المائة من هذا الكتاب وذلك :

« وأن من حق الصوفي أن يتخطى (كافة) النواميس الخلقية وأن يخرج على العرف الاجتماعي » — وإنما لفظة (كافة) كلفظة (قاطبة) تكون دائماً ملازمة للنصب على الحالية لا تتغير بأي حال ، وقد وردت هذه اللفظة بهذا الاستعمال في عدة مواطن من القرآن الكريم

هذا : ومن دواعي الغبطة وبواعث السرور أن يتفضل حضرة الدكتور الأستاذ الكبير أحمد أمين بك بقبول احترامي الفائق مقروناً بأطيب تحية ، وإلى صاحب الرسالة اللامعة أرفع تهاني الخالصة وتحيتي الباقية —

طرابلس الغرب   محمد مهدي أبو عامر



قانصـــوه الغوري
سلطان مصر الشهيد
الفصل السادس
في بركة الرطلي
للأستاذ محمود رزق سليم

كانت بركة الرطلي إحدى منازه القاهرة ، وكان الخليج المصري يجري حولها . ومنذ أن جرى حولها هذا الخليج ، بنى الناس فيها الدور والقصور ، وامتلأت بالقطان . وزرع بعض نواحيها . فأنبتت نباتاً حسناً . فاكتملت مباهجها بالزرع النضير والمياه والخرير ، وأخذت الزوارق تغدو من حولها وتروح ، تحمل الرائضين وطلاب السلوة وعشاق السمر . وبخاصة عندما يحل الأصيل أو يقبل الليل . وعلى حفافيها أضواء منتشرة . ومحال للهو معدة ، تستقبل الوافدين إليها ببشاشة وترحاب ، وتودع الراحلين عنها على أمل وإياب . .

وعاش في هذه البركة ، وارتادها ، كثير من شياطين العبث وأبالسة الفساد ، وعشاق المنكر ، فالتاث بذلك سمتها حيناً ، وأتى عليها حين من الدهر آخر ، ابتنى حولها كثير من العلية بيوتهم ، فعجت بالرؤساء منهم والأعيان ، وطاب فيها لهم اللقاء الجميل ، والتأم الشمل في المجلس الحافل . وتلاقى منهم الأحباء والخلصان . ونافست البركة في كل ذلك ؛ الأزبكية وبساتينها . وقبة يشبك وحدائقها

وفي بعض ليالي عام ٩١٩ هـ كنت تشهد هذه البركة ، وقد تحولت إلى قطعة من نور لكثرة ما أضيء بها من قناديل . فقد نادى محتسب القاهرة « الزيني بركات بن موسى » بين سكانها بأمر من السلطان ، أن يقيموا ضروب الزينة ومعالم الأفراح على جهات دورهم وصفحات محالهم ، ابتهاجاً بشفاء السلطان مما ألم بعينيه ، وكان السلطان قد أصيب بارتخاء في جفنه ، وحار في علاجه . ثم عكف عليه أطباؤه وكحالوه — أطباء العيون — حتى من الله عليه بالشفاء ، وكان الناس خلال مرضه قد أرجفوا ، ودبت بينهم الإشاعات عنه دبيبها السموم ، حتى قال قائلهم : إن السلطان قد عمي ، وأصبح لا يصلح للسلطنة ، وصاروا ما بين متوجع له ، وبرم به ، ولاعنه ، وقد داخل أمراءه ومماليكه الريب فيه وحدثتهم النفس بالخروج عليه والغدر به ، وابتغاء سلطان جديد يسخو عليهم ويجود ، بدل هذا الشحيح الضنين ، وقد بلغت أنباؤهم مسامع السلطان فاضطر إلى جمعهم وتوبيخهم حتى أقسموا له يمين الولاء على المصحف العثماني ... ومن ثم أخذ يسترضيهم

بشتى ضروب الاسترضاء

فلما برئ السلطان من مرضه ، أحب أن يشيع خبر برئه بين الناس حتى يعلم به القاصي والداني ، ويهيئ لهم ، رغم أنفسهم وقتا للهو ، ويفتح بابا للتمتع والابتهاج ، فرحا بشفائه . .

لبى سكان القاهرة نداء محتسبها ، وازدانت بركة الرطلي وبدت في أجمل حلة ، وتوجهت الطيقان بقطع الأقمشة الحريرية الملونة الجميلة ، وعلقت حمائل القناديل وأمشاطها ، واجتمعت كل معدات اللهو ودواعيه ، من طعام شهي ، وشراب طلي ، وغناء جديد ، وألعاب نارية يحرق فيها زيت النفط

وما دنا الليل حتى كان اللهو قد نادى ببوقه ، واستوى على سوقه . وأخذت الزوارق تذهب وتؤوب في الخليج ، مرة ينفرج عنها ظلام الليل البعيد ، كأنها ابتسامات العبيد ، ومرة تنساب عائدة إلى ظلماته ، فيطوي عليها حفافي ملاءته . وهكذا لبثت البركة في تبرجها وزينتها ثلاثة أسابيع متوالية ، وهي مراد اللاهي وروضة الحائر ، ومراح المرتاض ، وموعد العاشق ، حتى قال فيها الشاعر :

إلى بركة الرطلي أني ميمم لأبري كربي أو أزيل سقامي

ففيها لمعمود الفؤاد لبانة يطب برياها من الأسقام

إذا ظمئت نفسي من الوجد والهوى

ذهبت إليها كي أبل أوامي

وأهفو كما أهوى إليها كريمة بغير عتاب عندها وملام

بها الراح تسقى في الكؤوس وتارة

تدار بلحظ مرة وكلام

بها متع للعين والسمع والنهى وليست لعشاق الهوى بحرام

ولم تكن البركة وحدها منفردة بهذا التبرج — حينذاك — بل كانت كذلك ، القلعة والقاهرة وأسواقها ، وهناك كانت مصر العتيقة ، وبولاق وغيرها

وتبارى الأمراء وكبار الموظفين والقضاة والأعيان والخليفة في إظهار سرورهم ، وبالغوا في مشاركة سلطانهم فرحه بهذا الشفاء : فجملوا دورهم بالأعلام والثريات والأقمشة النفيسة ، وكانت أنواع الموسيقا تعزف في مختلف النواحي ، حتى لتحسب القاهرة وضواحيها قد لبست ثياب العيد وحدها دون سائر البلاد

بهرت الزينة الأنظار ، وخلبت الأفئدة ، وجذبت إلى البركة مئات من الرواد ، كان من بينهم شاعرنا « شهاب الدين » فجاس خلالها ، وأشبع نفسه من مباهجها ، وملأ فجاج قلبه من مرائيها ، وغذى عواطفه المهتاجة بالجميل الرائع من مفاتنها

وبينما كان يلج في رياضته إذ التقى عرضا بصديقه الفقيه « ولي الدين » فحياه ، وفي تحيته شيء من الإنكار والعجب . وقال له : « ويحك أيها الصديق ! ألا تزال في نفسك بقية من شباب ؟ ما الذي جذبك إلى بركة الرطلي ؟ »

ولي الدين : ما أحوج الشيب إلى متعتها ! إنها لتجري ماءه ، وتحيي ذماءه ، وتطلق حياءه . . .

شهاب الدين : ألا تتركها لنا معشر الشعراء . . . يلهينا انسجامها مع عواطفنا ، وانساقها مع إحساساتنا عن البحث وراء حلالها وحرامها ؟

ولي الدين : معاذ الله أن يغرينا دنسها أو يقربنا نجسها . والله يابني ! إن الحق أن لي ذوق المؤرخ الذي يجب أن يعرف كل شيء ، ويدون في صفحة فكره عن كل واقعة سطورا ، ويرسم في رقعة ذهنه لكل حادثة صورا . لا يعنيه منها غير تسجيلها ، قبل البحث في حرامها وحلالها . ثم هو بعد ذلك لا يصيبه من حلالها قلامة ، ولا يصيبه من حرامها ظلامة

شهاب الدين : أما تزال تتأول أيها الشيخ كعادتك ، وتهيئ لنفسك من كل حرج مخرجا حسنا ؟ أليس خيرا لك من بركة الرطلي ، جزيرة بولاق حيث يقام مولد سيدي إسماعيل الأنبابي ؟ . . . أين صديقنا علم الدين الخياط ؟

ولي الدين : هو هنا في عقر حانوت ، ومعه أصدقاؤنا ، وأنا منهم على ميعاد

(يؤمان الحانوت ويقابلان الأصدقاء ، ومنهم علم الدين والتاجر والمتوفي وغيرهم . ويجلسان بين ترحيب حافل وفرح شامل ثم تدار على الجميع طاسات السكر والليمون ، ثم يديرون أكواب الأحاديث)

علم الدين الخياط يوجه الحديث إلى الشاعر شهاب الدين ،

قائلا — وكان لم يره منذ حين — :

حام الأيك ما أهاك عنى ... ومنذا أبعد الأطيار منى

شهاب الدين :

ذهبت وراء آمـــالى أغنى ... وعلمنى الغنا طول التمنى

وما أنا بالغ منهـا قليلا ... وإن أك تحت شرفتها أغنى

لقد شغلتنى — أيها الصديق — مباهج القاهرة ومفاتنها . وهى جديرة بأن تلهى وتشغل . وقد قيل:

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا ... جبال حنين ما سقونى لغنت

لقد اعتاد القاهريون الترف ، وأخذوا بأسباب الرفاهة منذ عم بينهم الرخاء وازداد الخير ، ومنذ وجدوا فى سلطانهم وعاداته وتنقلاته وأوامره ما يدعو إلى اللجاج فى الترف والرفاهة ، فلجوا وأترفوا ولو كارهين ... فخضت فى الذى خاضوا ... مادمنا نرى فى كل آونة موكبا وحفـلا ، وفى كل يوم انتقـالا وسفرا ، وفى كل التفاتة حشدا وركبا ...

علم الدين الخياط : هل هذا هو ماشغلك عنا ؟ وما نصيبك أنت من كل هذه البلهنية والنعيم ؟ إذا لم يكن إلا نصيب المتفرج بهما المشاهد لهما فحسب ، لا نصيب المتمتع اللاج فى غمراتهما ، فنحن إذن متساوون ..!

للقصة بقية

محمود رزق سليم

مطبعة الرسالة